المحاضرة الرابعة

التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج

جَرَت عادة الناس أن الذي يذهب إلى رحلة سياحية يتهيأ نفسياً ومعنوياً لها، وأن الذي سيخوض حرباً يتهيَّأ لها كذلك نفسياً ومعنوياً، وهكذا سائر شؤون الحياة المهمَّة.

وعلى هذا فإن طالب الزواج لا بدَّ أن يستعدَّ لهذه الرحلة الطويلة أيضاً، وأن يتهيأ لما سيقابله ويواجهه بعد الزواج.

يكون التأهيل النفسي للزواج من خلال ثلاث نقاط، هي:

الزواج مسؤولية.

الزواج تضحية.

الزواج قبول للاختلاف.

أولاً- الزواج مسؤولية

على كلِّ مَن أقبل على الزواج أن يعلم أن أعباءً جديدةً ستُلقى على عاتقه، وأنه سيصبح مسؤولاً عن أسرة: زوجة، وأولاد، ومنزل..وغير ذلك.

فالحالة العاطفية وحدها لا تكفي في هذا الأمر، بل لا بدّ أن

يكون الزوج قادراً على تحمُّل المسؤولية المُلقَاة على عاتقه، كما قال رسول الله ﷺ: «**ألا كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعيَّته..**»[1]

ومثله الفتاة، يجب أن تتهيأ لتحمل المسؤولية أيضاً، فالحب وحده لا يكفي؛ لأن الحب جزءٌ من أجزاء كثيرة يبنى عليها الزواج، فإذا وُجِد الحب فلنبحث عن الأجزاء الأخرى.

وما يقال: (الحب إذا وجِد يَسَّر ما بعده!!) هذا القول ليس دقيقاً؛ إذ الحب شيءٌ من أشياء كثيرة يتطلَّبها الزواج، وعلى رأسها تحمُّل المسؤولية.

فكيف ستتصرَّف الزوجة إذا وقع زوجها في إعسار وفقر؟

وكيف سيتصرَّف الزوج إذا مرِضَت زوجته مرضاً شديداً؟

إن كانا متدرِّبين على تحمُّل المسؤولية فسيرعى كلٌّ منهما طرف الآخر، وهذه الرعاية تولِّد الحب الذي يُعتَمَد عليه في الحياة، لا الحب المبذول على قارعة الطرقات، المعروض بكلمات العشق والغرام.

وتتحدَّد مسؤولية الرجل بأمرين اثنين، ومسؤولية المرأة باثنين مثلِهما، أشار إليها قول الله تعالى: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْۚ فَٱلصَّٰلِحَٰتُ قَٰنِتَٰتٌ حَٰفِظَٰتٌ لِّلْغَيْبِ بِمَا حَفِظَ ٱللَّهُۚ﴾ [النساء: ٤/ ٣٤].

---

(١) متفق عليه.

فمسؤولية الرجل القوامة أي الإدارة والرعاية. والنفقة.

ومسؤولية المرأة طاعة الزوج. وحِفظُ البيت والأولاد في حضور الزوج وغيبته.

ثانياً- الزواج تضحية

لا يقوم زواج من دون تضحية، ولا يستمر من غيرها.

ليَسأل الشباب آباءهم، ولتسأل الفتيات أمهاتهنّ، كلُّهم بلا استثناء سيجدون أنه ما قامت أسرة واستمرَّت إلا بالتضحية، مراراً ما تعْتَرِضهم صعوبات الحياة ويصبرون، مراراً ما يضحُّون بأثمن ما لديهم لاستمرار الأسرة، لن يجدوا أسرةً استمرَّت في مسيرتها إلا بتضحية من الزوجين؛ لأن الزواج يقوم على التضحية، ولا زواج من دونها.

مات زوج أمّ هانئ الصحابية الجليلة، بنت عمِّ رسول الله ﷺ، وأخت سيِّدنا علي بن أبي طالب رضي الله عنه، وترك لها أيتاماً، فخَطَبَها رسول الله ﷺ لنفسه، فاعتذَرَت إليه، وذَكَرَت أن لها صِبْيَةً صغاراً؛ يعني: تلتفت إلى تربيتهم، وتخشى إن تزوَّجت وأدَّت حق زوجها أن تَنقُص حق أولادها، وإن أدَّت حقَّ أولادها أن تَنقُص حق زوجها. فعَذَرَها رسول الله ﷺ، وقال: «**خير نساء ركبن الإبل نساء قريش؛ أحناه على ولدٍ في صِغَره، وأرعاه على زوجٍ في ذات يده**»[1].

---

(١) متفق عليه.

لقد ضحَّت أم هانئ بأشرف رتبةٍ ولقبٍ تناله امرأة في العالم، فلو أنها تزوَّجت رسول الله ﷺ لصارت أم المؤمنين في الدنيا والآخرة، ولحازت رتبة السيدة الأولى في مصطلح اليوم.

وعن جابر بن عبد الله رضي الله عنه، قال: (تزوجتُ، فقال لي رسول الله ﷺ: «**تزوجتَ يا جابر؟**» فقلت: نعم، قال: «**بكراً أم ثيباً؟**» فقلت: لا، بل ثيباً، فقال: «**هلَّا جارية تلاعبها وتلاعبك؟**» فقلت: يا رسول الله، إن عبد الله -يعني أباه- مات، وترك سبع بنات، أو تسعاً، فجئتُ بمن تقوم عليهن، فدعا لي) [(١)]. لقد ضحى جابر رضي الله عنه بلذَّة يبحث عنها كل شاب في زواجه، ذلك بأن تكون زوجته بكراً، ضحى لأجل أن تَسْلَم أسرة أبيه وأمِّه.

ولا ريب أن مَن قدَّم الجماعة على الفرد، وآثر أسرته على نفسه طالباً بذلك ثواب الله تعالى وأجرَه نالَ رضاه سبحانه. عن عوف بن مالك رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: «**أنا وامرأة سَفْعَاء الخدين كهاتين يوم القيامة -وأومأ بالوسطى والسبابة-: امرأة أَيِمَت من زوجها، ذاتُ منصبٍ وجمال، وحَبَسَت نفسها على يتاماها حتى بانوا أو ماتوا**»[(٢)]. فلا بد لطالب الزواج أن يؤهِّل نفسه للتضحية، وأن يعلَم أن سيره نحو الزواج سيرٌ نحو التضحية، وهو مأجور على ذلك مُثاب عليه، ﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُضِيعُ أَجْرَ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [التوبة: ٩/ ١٢٠].

(١) متفق عليه.

(٢) السَّفعاء: هي السوداء، والحديث عند أبي داوود والطبراني.

ثالثاً- الزواج قبولٌ للاختلاف

قال الله تعالى: ﴿وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ۝١١٨ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ﴾ [هود: ١١/ ١١٨-١١٩].

الاختلاف سُنَّةٌ من سنن الله تعالى في الأرض، ولا تقوم الحياة من دون اختلاف، ومن غير الممكن اتحاد الناس في أحوالهم كلِّها، وقد قال أهل المنطق: (إذا انتفى كلُّ فارقٍ انتفَت الاثنينِيَّة)، لهذا لا بد أن يتهيّأ الزوجان نفسياً ليتقبَّل كلٌّ منهما الآخر على حاله، ثم هما يسعيان إلى التقارب مع مرور الأيام.

أقول: لا يوجد على الإطلاق زوجان متَّفقان في كلِّ شيء (مئة بالمئة)، فإذا كان بين الزوجين اتفاق بنسبة ٦٠٪ فهذا أمر جيد! بل جيد جداً! وإذا كانت النسبة ٥٠٪ فهذا جيد، ومن النادر أن تبلغ النسبة ٧٠٪. لكنْ مع مرور أيام حياتهما الزوجية يزداد التقارب والتفاهم بين الزوجين، الأمر الذي يزيد نقاط الوفاق، ويقلِّل نقاط الاختلاف بينهما.

من أجل هذا أرى أن على كلٍّ من الزوجين أن يتهيأ نفسياً لقبول الاختلاف، لتَسلَم لهما حياتهما الزوجية.

وبعد، فهذه هي النقاط الثلاث في التأهيل النفسي للمقبلين على الزواج:

الزواج مسؤولية. الزواج تضحية. الزواج قبول للاختلاف.

وإنه من الظلم الاجتماعي ألَّا يتأهَّل الشباب والفتيات للزواج تأهيلاً نفسياً صحيحاً، وأشدّ منه أن يتأهّلوا تأهيلاً سلبياً، حين تَملأُ أذهانهم وتَشحَن عواطفَهم ومشاعرَهم كلماتُ الحب والعشق والغرام، يتلقَّونها من الأفلام والمسلسلات والأغاني، فيذهبون نحو الزواج دون استعداد للتضحيةِ ولا لقبولِ الاختلاف، ولا لتحمُّلِ المسؤولية، بل بحثاً عن هذا الذي مُلِئَت به عقولُهم وقلوبهم، فربما وجدوه، وربما افتقدوه، عندها ستُصاب حياتهم الزوجية بمقتَل ولا ريب، والله أعلم.

المحاضرة الخامسة

خمس نقاط حول الزواج

النقطة الأولى: الزواج عبادة

المُقبِل على الزواج -رجلاً كان أو امرأة- مقبلٌ على عبادة؛ لأن أفعال المسلم كلَّها -إذا نوى بها التقوّي على طاعة الله وامتثل فيها أمره عز وجل- كانت له عبادة، فطعامه وشرابه ونومه وزواجه... كلُّه عبادة إن اقترن بنيَّة صالحة وامتثل فيها أمر الله؛ إذ العادات تنقلب بالنية الصالحة إلى عبادات، وتنقلب بالنية السيئة إلى خطيئات.

وبناء على هذا يكون الشاب العازف عن الزواج عازفاً عن عبادة.

دَرَس العلماء في كتب الفقه مسألة تقول: أيهما أفضل: الزواج، أم التفرُّغ للعبادة؟

قال جمهور العلماء: الزواج أفضل من التفرُّغ للعبادة؛ لأن نَفع العبادة قاصر، في حين يتعدى نفع الزواج؛ فالمتزوج يَنفَع نفسَه، وزوجَه، ومجتمَعَه. يقول النبي ﷺ: **«وفي بُضع أحدكم صدقة»**، قالوا: يا رسول الله، أيقضي أحدنا شهوته ويكون له أجر؟ قال:

«أرأيتم لو وضعها في حرام، أليس عليه وزر؟» قالوا: بلى، قال: **«كذلك لو وضعها في حلال كان له أجر»**[١].

فكلُّ ما يتحمَّله الشاب من متاعب في سبيل الزواج له به أجرٌ، وقد قيل: الأجرُ على قدر المشَقَّة.

النقطة الثانية: المتزوّج مُعَان

قال رسول الله ﷺ: **«ثلاثة حقٌّ على الله عونهم: المجاهد في سبيل الله، والمكاتَب يريد الأداء، والناكح الذي يريد العفاف»**[٢].

المتزوج مُعان من الله سبحانه وتعالى، يعينه مادياً ومعنوياً ونفسياً وإيمانياً وأخلاقياً...

يعين الرجل الذي يكدّ في عمله كل يوم من الصباح إلى المساء لأجل قوت أهله. يعين المرأة تحمِل جنينها تسعة أشهر، وتلاقي في ولادته ما تلاقي من الآلام، ثم تجدها تُسَرّ بذلك. وقد جَرَت سنَّة الله تعالى أنه: **(إذا كَلَّفك أعانك)**.

ذكِر في نوادر الأدب أنَّ أماً رُزِقت بوليد، وتعلَّقت به تعلُّقاً كبيراً، فكانت إذا أزالت عنه ما يخرج منه ما أنشَدَت تقول:

يا حبذا ريح الولد   مثل الخزامى للبلد

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) أخرجه الترمذي والنسائي.

أهــكــذا كــل ولــد أم لم يَلِد مثلي أحَد؟

وعلى الطرف المقابل: مَن ترك الزواج فاتته معونة الله إيَّاه. خاطَبَتْ أستاذة جامعية غير متزوِّجة في كلية الطِّب بجامعة أوربية طالباتها: (أيتها الطالبات، أنصحُكُنّ بالزواج الآن، فإني خَسرتُ أغلى شيء في حياتي، خَسرتُ الأمومة والزواج).

النقطة الثالثة: على قدر بُعدِك عن الحرام قبل الزواج تَسعَد مع زوجتك بعد الزواج

وهذا ميزان دقيق، أدقُّ من ميزان صائغ الذهب، بل أدقُّ من الشَّعرة.

قام ستة من طلبة كليَّة الطب في جامعة دمشق بدراسة ميدانية - مشروع تخرج- عام (١٩٩٧م)، وكان موضوعها: (العلاقة الجنسية الشرعية وغير الشرعية في مدينة دمشق وريفها)، وُزِّعَت خلال هذه الدراسة استمارات على شريحة اجتماعية عشوائية، وكانت الاستمارات نوعين: (استمارة متزوِّج، استمارة عَزب).

حَوَت كلُّ استمارة مئة سؤال، وكان من ضمن أسئلة المتزوجين: هل كانت لك علاقة غير شرعية قبل الزواج؟ هل أنت سعيد في علاقتك الخاصة مع زوجتك؟

جاءت النتيجة: كلّ الذين كانت لهم علاقات غير شرعية قبل الزواج لم يكونوا سعداء بعده.

هذه النتيجة تدلّ على أن الميزان دقيق، والناقد بصير!!

إن من أخطر ما يقع بين بعض الشباب اليوم أنهم يفلسفون المعصية لأنفسهم، يقولون: شيءٌ من الخَمرة تُنعش الفكرة، والعياذ بالله، ويقول آخرون: إن علاقته غير المشروعة مع الفتيات تدريبٌ على العلاقة المشروعة. أقول: إذا أمرَك الله بأمر فامتثل لأمر الله، وإذا نهاك عن شي فانتهِ عنه، فإنه لا يأمرك إلا بالخير، ولا ينهاك إلا عن الشر.

النقطة الرابعة: لا صحَّة لكلّ الدعايات الهابطة التي تدعو إلى التدرُّب على العلاقة الجنسية قبل الزواج لأن علاقة الرجل بالمرأة علاقة فطرية

أعجَبُ من بعض الشباب يتحدثون فيما بينهم، يقول أحدهم للآخر: لابدَّ أن تقيم علاقة مع فتاة، حتى تعرف كيف تُكلّم زوجتك بعد الزواج، وكيف تجالسها، وكيف تكون معها في الخصوصيات!! وأعجب من فتاة تقول لصاحبتها: لو أقمتِ علاقة مع شاب، فتعرفي ماذا سيحدُث بعد الزواج!!

ولعل شاباً يعطي صاحبه قرصاً مضغوطاً أو شريط تسجيل مصوَّراً أو ما شابه ذلك، يقول له: شاهِدْه من أجل الزواج، لتعرف كيف تتزوَّج، وماذا يحدث في الزواج!! ولعل الفتاة تفعل ذلك. والأعجب من هذا أن تأتي أمٌّ لابنتها بمثل هذا الشريط، أو يأتي أبٌ لابنه به!

إن هذه المقولات خاطئةٌ بلا ريب، بل تقِفُ على حافة الهاوية لتُردي بمُصَدِّقها في أودية السّوء والمعصية.

أقول: العلاقة الخاصة بين الزوجين علاقةٌ فطرية، فلو افترضنا وُجود رجل وامرأة من دون ثالث في هذا الكون، وأمَرَهما الله تعالى بالزواج لَعَلِمَا كيف يتمُّ الزواج، وهكذا تمّ الأمر بين آدم وحواء عليهما السلام. وفي هذا المعنى نقول: مَن الذي علَّم الوليد أن يلتَقِم ثديَ أمِّه بادئ الأمر؟ من الذي علَّمه أنَّ رِزقَه في هذا المكان؟ في كليَّات طب الأسنان تُدرَس عمليَّة الرضاع لدى الوليد على أنها عمليَّةٌ فيزيولوجيةٌ معقَّدة، وليست مجرَّد عمليَّة مصٍّ بسيطة! تُرى مَن الذي علّم الرضيع هذه العملية؟ إنه الله، الذي أراد استمرار الناس في الحياة، فعلّمهم وفطَرَهم على ما يُصلِح حالهم، ويكفَل دوامَ بقائهم.

مَن الذي درَّب الولد أن يرفع يده إن وضعها على شيء حار حتى لا تحترق؟ من الذي علَّمه أن يبكي إذا جاع؟ إنها الفطرة التي استودعها الله تعالى في كل إنسان.

ومن هذه الفطرة كانت العلاقة الخاصة بين الزوجين، علاقة فطرية لا تحتاج إلى فلسفة وتعقيد، وكلُّ الدِّعايات الهابطة والساقطة تسعى إلى طيِّ هذه الفطرة، ونشر الرذيلة والإساءة إلى الجيل.

بل إنَّ لهذه الدعايات مفعولاً مغايراً لما يدّعي مروِّجوها، فقد ثَبَتَ علمياً أن من يشاهد الأفلام الجنسية الهابطة، رجلاً كان أو امرأة، لا يرتاح أبداً في علاقته الخاصة مع زوجه؛ لأنها تحتوي على أخطاء جنسية فادحة، لها نتائج وخيمة على الزوجين، ولأنَّ

الرجال يختلفون بعضهم عن بعض، وكذلك النساء يختلفن، والمعيار نسبيٌّ، فما يعجب هذا يشمئزّ منه ذاك، وما تحبُّه هذه تنفُرُ منه تلك، وهكذا الأمر، لكلٍّ خصوصيته، ويلهمُه الله تعالى إشباع حاجته مع زوجه فطرةً مع انضباط بالشرع.

ثم إننا عبيدٌ، إذا قالَ لنا ربنا: غُضوا أبصاركم، غضضنا أبصارنا، نُنفِّذ أمرَ ربِّنا، عَلِمنا المقصد أم لم نَعلَم، فهمنا الحكمة أم لم نفهم، ولا نفلسِف المعصية التي تُفسِد الأسرة وتُدمّر روابطها.

النقطة الخامسة: أصعب عام في الزواج هو العام الأول

هذه حقيقة علمية؛ ذلك لأن الزَّوجين شخصان مختلفان، جاءا من بيئتين دينيَّتين وثقافيَّتين واجتماعيَّتين وماديَّتين... مختلفتين.

وبدءاً باليوم الأول للزواج سيشترك الاثنان في دقائق أمور الحياة وجليلها، والمتوقَّع علمياً أن يختلفا اختلافات كثيرة، ولا شكَّ أنَّ تحويل الخلاف إلى تكامُل لا إلى تقاتُل أمرٌ ليس بالهيِّن، لذلك قلنا: أصعب عام في الزواج هو العام الأول، ومن ثَمّ يكون العام الثاني أسهل، بسبب تفهُّمِهمَا لطريقة تعاملِ أفضل أحدهما مع الآخر، ثم العام الثالث أحسن، وهكذا.. كلَّما مر عليهما الوقت ازداد الوفاق، وقلَّ الخلاف، أو قُل: استطاعا احتواءه والتعامل معه. فلا يتشاءم الزوجان مما يَعْتَرضهما من اختلافات في سنتهما الأولى، بل ليواجها ذلك بأمل وعزيمة، وتصميم على تجاوز العقبات واستمرار الحياة.

كتَبَت الجرائد في إحدى الدول العربية: (أصبح الطلاق في السنة الأولى ظاهرةً في البلد)، وأظنُّ أنَّ سائر البلاد مثلها، وما ذلك إلا بسبب ما يظنه القادمون على الزواج أنه حبٌّ، ووئامٌ، وشهرُ عسل، وسلام، من دون صعوبات ومنغِّصات، فإذا تزوَّجوا وجدوا الأمر على غير ما استعدوا له.

ولو أننا هيأنا القادمين على الزواج تهيئة صحيحة وذكَرْنا لهم الحبَّ والوئام الواقع في الزواج، والصعوبات والخصام فيه، ودرَّبناهم على قبول الإيجابيات، وطُرُق معالجة السلبيات لكان الأمر على غير ذلك.

وأعود لأقول: أصعب عام في الزواج هو العام الأول، ثم العام الثاني أحسن، والثالث أحسن، ثم يصل الزوجان بعد مدة إلى مرحلة تتقارب آمالهما وآلامهما تقارباً كبيراً، بل إنَّ دراسات حديثة تذكُر أن الزوجين اللذين يعيشان أحدهما مع الآخر سنوات طويلة تتقارب أشكالهما، ويتشابهان حتى في معالم وجهَيهِما.

وبناءً على ذلك؛ فإن التفكير بالتراجع، أعني: الطلاق، في العام الأول للزواج وقياس الحياة المستقبلية عليه، والتسرُّع بإصدار الأحكام فيه أمرٌ خاطئ؛ لأن ما بعد العام الأول غالباً ما يكون أفضل منه، ولا ننسَ أنَّ الأجر على قدْر المشقَّة.

وبعد، فهذه خمس نقاط حول الزواج عرضتها في هذه المحاضرة:

الزواج عبادة. المتزوج معان. على قدْر بُعدك عن الحرام قبل

الزواج تَسعَد مع زوجك بعد الزواج. لا صحَّة لكلّ الدعايات الهابطة التي تدعو إلى التدرُّب على العلاقة الجنسية قبل الزواج؛ لأن علاقة الرجل بالمرأة علاقة فطرية. أصعب عام في الزواج هو العام الأول.

والله أعلم.

المحاضرة الثانية عشرة

الرسول الزوج

سنتكلم في هذه المحاضرة على عَمَل سيدنا محمد ﷺ في بيته، وتعامله مع أهله، لنقتدي به ونتأسى؛ لأنه ﷺ قمة الكمال البشري: كمال العقل، وكمال الأخلاق، وكمال الأدب، وكمال حسن السياسة... يقول الله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْآخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: ٣٣/ ٢١]. ويقول النبي ﷺ: «**كلُّ أمَّتي يدخلون الجنة إلا من أبى**»، قالوا: ومن يأبى يا رسول الله؟! قال: «**مَن أطاعني دخل الجنة، ومَن عصاني فقد أبى**»[1]. قال تعالى: ﴿قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْۗ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣١﴾﴾ [آل عمران: ٣/ ٣١].

وجدتُ رسول الله ﷺ -الزوجَ- يتَّصف بعشر صفات، وعلى كلِّ مسلم يرجو الكمال أن يتَّصف بها:

---

(١) أخرجه البخاري.

أولاً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يحبُ زوجته، ويخبرها بذلك

قال عمرو بن العاص رضي الله عنه: (يا رسول الله، مَن أحبُّ الناس إليك؟ قال: «**عائشة**»، قال: مِن الرجال؟ قال: «**أبوها**»)[١].

وتقول عائشة رضي الله عنها: (وكان النبي ﷺ إذا ذبح الشاة يقول: «**أرسلوا بها إلى أصدقاء خديجة**»، قالت: فأغْضَبْتُه يوماً، فقلتُ: خديجة عجوز، فقال: «**إني رُزِقْتُ حُبَّها**»)[٢].

وطَلبَت زوجات النبي ﷺ من السيدة فاطمة أن تكلِّم أباها في شأن عائشة، وإليك نَصَّ الحديث: عن عائشة رضي الله عنها قالت: (إنَّ نساءَ رسولِ الله ﷺ كُنَّ حزبين، فحزبٌ فيه: عائشة، وحفصةُ، وصفيةُ، وسودةُ، والحزب الآخر: أمُّ سَلَمَة، وسائرُ أزواج النبيِّ ﷺ. وكان المسلمون قد علموا حُبَّ رسولِ الله ﷺ عائشة، فإذا كانت عند أحدهم هديَّة يريد أن يُهديَها إلى رسولِ الله ﷺ أخَّرها، حتى إذا كان رسولُ الله ﷺ في بيت عائشة ذهب صاحب الهدية بها إلى رسولِ الله ﷺ في بيت عائشة. فكلَّم حزبُ أمِّ سَلَمَة أمَّ سَلَمَة، فقلنَ لها: كَلِّمي رسولَ الله ﷺ يُكَلِّمُ الناس، فيقول: من أراد أن يُهْدِي إلى رسولِ الله ﷺ هدية فَلْيُهْدِ إليه حيثُ كان مِنْ نسائه، فَكَلَّمَتْهُ أمُّ سَلَمَة بما قُلْنَ فلم يقل لها شيئاً، فسألنَها، فقالت: ما قال لي شيئاً، فقلنَ لها: كَلِّميه. قالت: فكلَّمَتْه حين دار إليها أيضاً، فلم يقلْ لها

---

(١) متفق عليه.

(٢) متفق عليه.

شيئاً، فسألنَها فقالت: ما قال لي شيئاً، فَقُلْنَ لها، كَلِّميه حتى يكلِّمَكِ. فدار إليها، فكلَّمته، فقال لها: «**لا تؤذيني في عائشة، فإن الوَحْيَ لم يأتني وأنا في ثوب امرأة إلا عائشة**»، قالت: فقلتُ: أتوبُ إلى الله مِنْ أذاك يا رسولَ الله.

ثم إنهنَّ دَعَونَ فاطمة بنتَ رسولِ الله ﷺ، فأرسلنَها إلى رسولِ الله ﷺ تقول: إن نساءك يسألْنَك العَدْلَ في بنت أبي بكر، فكلَّمَتْهُ، فقال: «**يا بُنَيَّةُ، ألا تُحِبِّينَ ما أُحِبُّه؟**» فقالت: بلى، فَرَجَعَتْ إليهن، فأخْبرَتْهُنَّ، فقلن: ارجِعِي إليه، فأبَت أن ترجع.

قالت عائشةُ: فأرسل أزواجُ النبيِّ ﷺ زينبَ بنتَ جَحش زوجَ النبيِّ ﷺ، وهي التي كانت تُسَامِيني منهنَّ في المنزلة عند رسولِ الله ﷺ، ولم أرَ قَطُّ خيراً في الدِّين مِنْ زَيْنبَ، وأتْقَى لله، وأصْدَقَ حديثاً، وأوْصَلَ للرحم، وأعظمَ صدقة، وأشدَّ ابتذالاً لنفسها في العمل الذي تَصَدَّقُ به، وتَقَرَّبُ به إلى الله عز وجل، ما عدا سَوْرَة من حَدّة كانت فيها، تُسْرِع منها الفَيْئَة. قالت: فاستأذنَتْ على رسولِ الله ﷺ، ورسولُ الله ﷺ مع عائشةَ في مِرْطها على الحال التي دَخلَتْ فاطمةُ عليها وهو بها، فأذِنَ لها رسولُ الله ﷺ، فقالت: يا رسولَ الله، إن أزواجك أرسَلنَني يسألْنَكَ العَدْلَ في ابنة أبي قحافة، قالت عائشة: ثم وقَعَتْ بي، فاستطالت عَليَّ، وأنا أرقُبُ رسولَ الله ﷺ وأرقُبُ طَرْفَه، هل يأذن لي فيها؟ قالت: فلم تبرح زينبُ حتى عَرفتُ أن رسولَ الله ﷺ لا يَكره أن أنتصِر، قالت: فلما وقَعتُ لم أنْشَبْها حتى أنحيت عليها -وفي رواية: لم

أنشبْها أن أثخنتُها غَلَبَة- فقال رسولُ الله ﷺ وتَبَسَّمَ: «**إنها ابنة أبي بكر!!**»[(١)].

نعم، كان رسول الله ﷺ زوجاً يحب زوجته، ويخبرها بذلك، والنساء بطبعهن يحببن الكلام الجميل من أزواجهن، فإذا أراد الزوج أن يخطب ودَّ زوجته فليعمل عمل رسول الله ﷺ.

ثانياً- كان رسول الله ﷺ يلاطف زوجاته

سُئلت السيدة عائشة رضي الله عنها: كيف كان رسول الله ﷺ إذا خلا في البيت؟ فقالت: (**كان رسول الله ﷺ ألينَ الناس، بسَّاماً ضحَّاكاً**)[(٢)]، ضحَّاكاً: صيغة مبالغة على وزن (فعّال)، يعني: كثير الضحك، وكثير الابتسام في البيت.

ويكون بعض الرجال في الطريق ضحَّاكاً بسَّاماً، أما في البيت فعبوساً قمطريراً، ويظن أنَّ الرجولة تقتضي ذلك، وهذا مخالف لسنَّة سيدنا محمد ﷺ.

روى الحاكم عن موسى بن طلحة بن عبيد في قصة زواج أم أبان بنت عتبة بن ربيعة رضي الله عنها أنه خطَبَها طلحة رضي الله عنه فقالت: «زوجي حقاً، قالوا: وكيف ذاك؟ قالت: إني عارفة بخلائقه، إنْ دَخَل دَخلَ ضحَّاكاً، وإن خرَجَ خرَجَ بسَّاماً، إنْ سألتُ أعطى، وإنْ سكتُّ ابتدأ، وإنْ عمِلتُ شَكَر، وإنْ أذنبتُ غَفَر»[(٣)].

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه ابن عساكر في: تاريخ دمشق، وإسحاق بن راهويه في: مسنده.

(٣) أخرجه الحاكم في: المستدرك.

فترى في هذه الرواية كيف تحب المرأة في زوجها أن يكون ضاحكاً باسماً في البيت.

***قصة سباق النبي ﷺ مع السيدة عائشة رضي الله عنها**

عن عائشة رضي الله عنها أنها كانت مع رسول الله ﷺ في سفر، وهي جارية، فقال ﷺ لأصحابه: «**تقدَّموا**»، ثم قال: «**تعالي أسابقك**»، فسابَقْتُه فسَبَقْتُه على رجلي.

فلما كان بعدُ خرجتُ معه في سفر، فقال لأصحابه: «**تقدَّموا**»، ثم قال: «**تعالي أسابقك**» ونسيتُ الذي كان، وقد حَمَلتُ اللحم، فقلتُ: كيف أسابقك يا رسول الله وأنا على هذه الحال؟! فقال: «**لتَفْعَلِنّ**»، فسابَقْتُه فسَبَقَني، فقال: «**هذه بتلك السَّبقة**»[1].

فها هو ذا النبي ﷺ يمازح زوجته ويلاعبها ويباسطها، والحياة بسيطةٌ جداً، ويستطيع الرجل أن يبني سعادة كبيرة في بيته بكلمة لطيفة، أو بموقف محبَّب، أو بمباسطة معيَّنة يريح بها أهل بيته.

ثم من الأهمية بمكان أن يفرِّق الرجال بين أعمالهم وألقابهم خارج البيت، وأعمالهم وألقابهم داخله، فمن الممكن أن يكون الرجل خارج البيت طبيباً، ولكنه داخل البيت زوجٌ، ومن الممكن أن يكون خارج البيت مديراً عاماً، أو ضابطاً، ولكنه داخل البيت زوجٌ، فإذا حَمَل عمَلَه ولَقَبَه المهنيّ إلى داخل البيت فقد أفسَدَ داخل البيت؛ إذ الزوجة تحتاج إلى ممازحة ومباسطة وملاطفة.

---

(١) أخرجه أبو داوود، وأحمد، والنسائي في: الكبرى.

وها هي ذي السيدة عائشة رضي الله عنها تقول: (**كان رسول الله ﷺ من أَفْكَه الناس مع نسائه**)[١]، أي: ممازِحٌ مباسِط لنسائه، فمهما اقتديتَ برسول الله ﷺ سَعِدتَ وأَسعَدتَ.

ثالثاً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يعين زوجاته

فهو ﷺ يساعد زوجته إذا تزاحمت عليها المهمَّات، ويضع يده في يدها في المسرات والملمَّات، وغير صحيح أن مساعدة الرجل زوجته تنقص من رجولته، فقد ساعد سيدنا محمد ﷺ -وهو أفضل الرجال- زوجتَه حيناً في عمل البيت. تقول السيدة عائشة رضي الله عنها واصفةً النبيﷺ: (**كان رسول الله ﷺ بشَراً من البشَر، يفلي ثوبه، ويحلب شاته، ويخدم نفسه**)[٢]. وفي رواية: (**كان رسول الله ﷺ يخصف نعلَه، ويخيط ثوبه، ويعمل في بيته كما يعمل أحدكم في بيته**)[٣]. وفي رواية: (**كان يكون في مهنة أهله، فإذا حَضَرَت الصلاة خَرَجَ إلى الصلاة**)[٤].

فمعونة الزوج لزوجته في عمل البيت -كلَّما أمكَنَه ذلك- تزيد الود بينهما.

(١) أخرجه بنحوه ابن عساكر في: تاريخ دمشق، والطبراني في: الأوسط، والبيهقي في: الدلائل.

(٢) أخرجه البخاري في: الأدب المفرد، وأحمد.

(٣) أخرجه أحمد، والبيهقي في: الدلائل، وابن حبان في: صحيحه.

(٤) أخرجه البخاري والترمذي.

رابعاً- كان رسول الله ﷺ زوجاً وفيّاً مع زوجاته

من المعلوم أن السيدة خديجة رضي الله عنها وقَفَت إلى جانب النبي ﷺ في سنوات الدعوة الأولى، ووَاسَتْه بمالها، وصدّقته حين كذَّبه الناس، ونصَرَته إذ خَذَلَه الناس... فلمَّا ماتت السيدة خديجة رضي الله عنها حَزِن رسول الله ﷺ حُزناً شديداً لفراقها، وسُمّي العام الذي ماتت فيه في كتب السير: (عام الحزن)؛ لشدة حزنه ﷺ عليها، وكان رسول الله ﷺ بعد ذلك يُكثِر ذِكرَها بالخير، حتى غارت السيدة عائشة رضي الله عنها منها، مع أن السيدة عائشة لم تجتمع عند رسول الله ﷺ بها، لأنه ﷺ لم يتزوَّج في حياة السيدة خديجة غيرها، ومع هذا غارت رضي الله عنها منها.

تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: (ما غِرْتُ على أحد من نساء النبيِّ ﷺ ما غِرْتُ على خديجة قطّ، وما رأيتُها قط، ولكن كان النبي ﷺ يُكثر ذِكرها، وتزوَّجني بعدها بثلاث سنين، وأَمَرَه ربُّه عز وجل أن يبشِّرَها ببيت في الجنة من قصب، وربما ذَبَحَ الشاة، ثم يُقَطِّعها أعضاء، ثم يَبْعَثُها في صدائق خديجة، وربما قلتُ له: كأنه لم يكن في الدنيا امرأة إلا خديجة، ما تذكُر من عجوز من عجائز قريش حَمْراء الشِّدْقَيْنِ، هلكت في الدهر، قد أبدَلَك الله خيراً منها؟! فيقول: «**إنها كانت وكانت، وكان لي منها ولد**»)[1].

وفي رواية للإمام أحمد: (قالت عائشة: فغِرتُ يوماً، فقلتُ:

---

(١) متفق عليه.

ما أكثر ما تذكرها، حمراء الشدق، قد أبدَلَكَ الله عز وجل بها خيراً منها، قال: «**ما أبدلني الله عز وجل خيراً منها، قد آمنت بي إذ كَفَرَ بي الناس، وصدَّقتني إذ كذَّبني الناس، وواستني بمالها إذ حَرَمَني الناس، ورَزَقَني الله عزَّ وجل ولدها إذ حرمني أولاد النساء**»).

فالوفاء من خُلُق النبلاء، ووفاء الزوج لزوجته في حضرتها وغيبتها، وفي حياتها وبعد مماتها فيه اقتداء برسول الله ﷺ.

خامساً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يحترِم زوجاته

فما أكرَمَ النساءَ إلا كريم، وما أهانهنَّ إلا لئيم، فإهانة الزوجة لؤمٌ في الزوج، وإكرامها كرمٌ فيه، والنبي ﷺ كان يحترم زوجاته ويكرمهنَّ.

يَرِدُ على ألسنة العامة قول: (شاوروهن وخالفوهن)، وهذا ليس بحديث، وهو كلام مكذوب على النبي ﷺ، بل إن النبي ﷺ شاور زوجاته الكريمات، وقد حُلَّت مشكلةٌ كبيرة نزَلَت بالمسلمين بمشورة النبي ﷺ لزوجه أمّ سَلَمَة رضي الله عنها.

جاء في كتاب (كشف الخفاء ومزيل الإلباس عما اشتهر من أحاديث على ألسنة الناس)[١] قال في (المقاصد): (شاوروهن وخالفوهن): لم أرَه مرفوعاً...، كيف وقد استشار النبي ﷺ أمّ سَلَمَة رضي الله عنها في صلح الحديبية؟ فصار دليلاً لاستشارة المرأة الفاضلة، ولفضل أم سَلَمَة ووفور عقلها).

في صلح الحديبية كان النبي ﷺ ذاهباً إلى العمرة مع أصحابه،

---

(١) ٢/ ٣.

فمنعه المشركون، وأجروا معه صلحاً، وكان من بنود هذا الصلح أن يرجع النبي ﷺ عن مكة هذا العام ولا يحجّ ولا يعتمر، وكان الصحابة قد هيؤوا أنفسهم للعمرة ولدخول مكة، ولما صالَح النبي ﷺ المشركين بالحديبية أمَرَهم بالرجوع، فقالوا: يا رسول الله، ألم تقل لنا إنك رأيت في المنام أننا ندخل الحرم محلِّقين رؤوسنا ومقصرين، فكيف تقول لنا ارجعوا؟! وسأل سيدُنا عمر رضي الله عنه رسول الله ﷺ ذلك، فقال له رسول الله: «**نعم يا عمر، إني رأيت ذلك، ولكن لم أقل لكم إننا سندخل هذا العام**».

وأمر النبي ﷺ أصحابه بفكِّ الإحرام، فقال لهم -كما جاء في (صحيح البخاري)-: («**قوموا فانحروا ثم احلقوا**». قال: فوالله ما قام منهم رجل حتى قال ذلك ثلاث مرات، فلما لم يقم منهم أحد دخل على أم سَلَمَة - رضي الله عنها- فذكر لها ما لقي من الناس، فقالت أم سَلَمَة: يا نبي الله، أتحب ذلك؟ اخرج لا تكلم أحداً منهم كلمة حتى تنحر بُدْنَك وتدعو حالقك فيَحْلِقك. فخرج فلم يكلِّم أحداً منهم حتى فعل ذلك: نَحَرَ بُدْنَه، ودعا حالقه فحَلَقَه، فلما رأوا ذلك قاموا فنحروا وجعل بعضهم يحلِق بعضاً، حتى كاد بعضُهم يُقتَل غماً)[١].

وهكذا نجا المسلمون من عصيانهم لأمر رسول الله ﷺ بفضل رأي السيدة أم سَلَمَة ومشورتها، رضوان الله تعالى عنهم أجمعين.

فاستشارةُ الزوج زوجته احترامٌ لرأيها وعقلِها، وتبقى الزوجة

---

(١) ينظر الحديث مطولاً عند البخاري برقم (٢٥٨١).

تحبُّ الزوج الذي يحترِمها.

سادساً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يتجمّل لزوجاته

وهذا أمرٌ مطلوب في الشريعة، تقول السيدة عائشة رضي الله عنها: **(كانت كفُّ رسول الله ﷺ أليَنَ من الحرير، يصافِحُ المصافِحَ فيظلُّ يومَه يجدُ ريحها)**[١]. وكان ﷺ يبدأ بالسواك أول ما يدخل البيت[٢]، ويستعمله مراراً حتى لا يجد أهلُه منه إلا الرائحة الزكية. ويقول سيدنا عبد الله بن عباس رضي الله عنهما: (إني لأتزين لامرأتي كما أُحبُّ أن تتزين لي)[٣].

عن عطاء بن مصعب قال: (جاءت امرأة إلى عمر بن الخطاب رضي الله عنه، فقالت: يا أمير المؤمنين، لا أنا ولا زوجي!! فقال لها: وما لكِ من زوجك؟ قالت: مُر بإحضاره، فأُحضِر، فإذا رجلٌ قذِرُ الثياب قد طالَ شعرُ جَسَده وأنفه ورأسه، فأمَر عمر أن يؤخَذ من شعره، ويُدخَل الحمام، ويُكسى ثوبين أبيضين، ثم يؤتَى به، ففُعل ذلك، ودعا المرأةَ، فلما رأَت الزوج قالت: الآن، فقال لها عمر رضي الله عنه: اتقي الله، وأطيعي زوجكِ، قالت: أَفعلُ يا أمير المؤمنين، فلما ولَّت قال عمر رضي الله عنه: تَصَنّعُوا للنساء فإنهنّ يحبِبْنَ منكم ما تحبون منهنّ)[٤].

---

(١) أخرجه البيهقي في: دلائل النبوة.

(٢) أخرجه مسلم وأبو داوود والنسائي.

(٣) ذكره النسائي في: عشرة النساء، ١/٢٨.

(٤) ذكره النسائي في: عشرة النساء، ٢/١٣، واللفظ من كتاب (المحاسن والمساوئ).

فكلُّ زوجٍ يتجمَّل لأهل بيته ينادي بهم لاستمرار المودة والألفة، ومن تقبّح معهم فوجد بُغضة ونفوراً فلا يلومنَّ إلا نفسَه.

سابعاً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يعلّم زوجاته

يعلِّم زوجاته العلم ومحاسن الأخلاق، فعن عائشة رضي الله عنها قالت: (دخل رهطٌ من اليهود على رسول الله ﷺ، فقالوا: السَّام عليك، قالت عائشة: ففهِمتُها، فقلتُ: عليكم السَّام واللعنة، قالت: فقال رسول الله ﷺ: «**مهلاً يا عائشة، إن الله يحب الرِّفق في الأمر كلِّه**»، فقلتُ: يا رسول الله، ألم تسمَع ما قالوا؟! قال رسول الله ﷺ: «**قد قلتُ: وعليكم**»[1].

وعن عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن النبي ﷺ قال: «**ألا كلُّكم راع، وكلُّكم مسؤول عن رعيته...، والرجل راعٍ على أهل بيته، وهو مسؤول عن رعيته...**»[2].

ومِن جملة مسؤوليات الرجل عن زوجته مسؤوليته عن تعليمها، فإما أن يعلِّمها هو، أو أن يأذَنَ لها في أن تلحَقَ مجالس العلم ومعاهدَه.

وكثيراً ما تتأخر المرأة عن التطوير العلمي لنفسها بسبب انشغالها بواجب المنزل، فإن لم يُعلِّمها الزوج ما يتعلَّمه فستتسع الفجوة العلمية بينهما، الأمر الذي يضعف الصلة بينهما.

(١) متفق عليه.

(٢) البخاري.

فالنبي ﷺ زوجٌ يعلِّم زوجته، فها هو ذا ﷺ يدخل على عائشة يوماً فيرى كسرةً ملقاةً، فيمشي إليها، يأخذها ويمسحها ثم يأكلها، ثم يقول: «**يا عائشة، أحسني جوار نعم الله، فإنها قلَّ ما تزول عن أهل بيتٍ فكادت أن تعود إليهم**»(١).

ويخاطب زوجه أم حبيبة رضي الله عنها عندما تسأله: يا رسول الله، المرأة منا يكون لها زوجان، ثم تموت، فتدخل الجنة هي وزوجاها، لأيهما تكون؟ للأول أو للآخر؟ فيقول ﷺ: «**تُخَيَّرُ أحسنهما خلقاً كان معها في الدنيا يكون زوجها في الجنة، يا أم حبيبة ذهب حسن الخلق بخير الدنيا والآخرة**»(٢).

وينادي بزوجاته جميعهنّ، يقول: «**مَن يُوقِظُ صواحبَ الحُجُرات** -يريد: أزواجَه- **فيُصلِّين؟ رُبَّ كاسية في الدنيا عارية في الآخرة**»(٣).

فتعليم الزَّوج زوجتَه سُنَّة من سُنن رسول الله ﷺ.

ثامناً- كان رسول الله ﷺ يحلُمُ عن زوجاته

لأن الحياة عامة، والحياة الزوجية خاصة، تحتاج إلى تأنٍّ ورويَّة، وإلى ممحاة تُمحَى بها أخطاء الآخرين؛ ولأنَّ الزوجات لسْنَ كاملات، ومثلهنّ أزواجهنّ، فلا يَطلُبَنْ أحدٌ من زوجته أن

---

(١) الطبراني في: الأوسط.

(٢) أخرجه الطبراني في: الكبير، والبزَّار في: المسند.

(٣) أخرجه البخاري والترمذي.

تكون كالسيدة فاطمة رضوان الله عليها؛ لأنه ليس كسيِّدنا عليّ كرَّم الله وجهه.

عن أنس بن مالك رضي الله عنه قال: (كان رسولُ الله ﷺ عند بعض نسائه، فأرسَلَتْ إليه إحدى أُمهات المؤمنين بِصَحْفَة فيها طعام، فَضَربتِ التي هو في بيتها يَدَ الخادِم، فَسَقَطَتِ الصَّحفَةُ، فانْفَلَقَتْ، فَجَمَعَ رسولُ الله ﷺ فِلَق الصَّحفَةِ، ثم جعل يجمع فيها الطعام الذي كان في الصحفة ويقولُ: «غَارتْ أُمُّكم، غارتْ أُمُّكم»، ثم حَبَس الخادم، حتى أُتيَ بِصَحفَة من عند التي هو في بيتها، فدفعها إلى التي كُسِرَتْ صَحْفَتُها، وأمسك المكسورة في بَيْتِ التي كَسَرَتْها)[1].

فهذا النبي ﷺ يحلم عن زوجته حين حمَلَتْها الغيرة على كسر آنية ضرتها، ويغير الحال بلفتةٍ لطيفة منه ﷺ.

وقديماً قيل: (الحلم سيِّد الأخلاق).

تاسعاً- ما ضرب رسول الله ﷺ امرأة قط

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله...)[2].

قال رسول الله ﷺ: «**لا تَضْرِبوا إِماءَ الله**»، فجاء عمرُ رضي الله عنه إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: ذَئِرنَ النساءُ على أزواجهن [أي: تجرَّأن]،

(١) أخرجه البخاري.
(٢) أخرجه مسلم.

فرَخَّصَ في ضربهن، فأطاف بآلِ رسول الله ﷺ نساءٌ كثير يَشْكُون أَزواجهنّ، فقال رسولُ الله ﷺ: «**لقد طاف بآل محمد نساءٌ كثير يشكون أزواجهنَّ، ليس أولئك بخيارِكم**»[١].

كتب ريتشارد جونز في مجلة (القبالة وأمراض النساء) في أميريكا عام (١٩٩٢م): (هناك وباء يجتاح بلادنا، إنه لشنيع، إنه غير قابل للتجاوز عنه أو التَّساهل في أمره، إنه في كلِّ اثنتي عشرة ثانية في الولايات الأمريكية تَخضَع امرأة لهذا الوباء، في كلِّ اثنتي عشرة ثانية تُضرَب امرأة إلى درجة التحطيم أو القتل من قِبَل زوجٍ أو صديق، وفي كلِّ يوم نرى نتائج هذا الضرب وآثاره في مكاتبنا، في غرف الطوارئ لدينا، وفي عياداتنا...).

فَضَربُ النساء ليس من عادة رسول الله ﷺ ولا من سنَّته المطهَّرة. ولئن جاء في القرآن الكريم: ﴿وَٱلَّٰتِي تَخَافُونَ نُشُوزَهُنَّ فَعِظُوهُنَّ وَٱهْجُرُوهُنَّ فِي ٱلْمَضَاجِعِ وَٱضْرِبُوهُنَّ﴾ [النساء: ٤/ ٣٤]، فإنما الإذن بالضرب فيها لحالة استثنائية لا طبيعية.

ثم إنَّ الفقهاء متَّفقون على أن الإذن بالضرب إنما هو للإباحة لا للوجوب ولا للسنيَّة، وصرَّح الشافعية بأن ترك الضرب بالكلية أفضل، وقال الحنابلة: الأولى تَركُ ضَربِها إبقاءً للمودَّة.

وغنيٌّ عن الذكر أنهم مجمِعُون على أن الضرب المأذون به له شروط وضوابط تجعَله للتأديب لا للتَّشفِّي والأذى.

---

(١) أخرجه أبو داوود.

ثم من أراد الاقتداء برسول الله ﷺ الزوج فما ضرب ﷺ بيده امرأة قط.

عاشراً- كان رسول الله ﷺ يعدِلُ بين زوجاته

عن عائشة رضي الله عنها قالت: (كان رسولُ الله ﷺ يَقْسِم بين نسائه فيعدِل، ويقول: **«اللهم هذا قَسْمي فيما أملك، فلا تَلُمني فيما تَملك ولا أَملك»**)[١]. ويُنذِر من ظَلَم امرأة لحساب أخرى بقوله ﷺ: **«مَن كانت له امرأتان فمال إلى إحداهما جاء يوم القيامة وأَحَدُ شِقَّيه مائل»**[٢].

وبعد، فهذه عشر صفات وجدتُ رسول الله ﷺ -الزوجَ- يتصف بها:

أولاً- كان رسول الله ﷺ يحبُّ زوجاته ويخبرهن بذلك.

ثانياً- كان رسول الله ﷺ يلاطف زوجاته.

ثالثاً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يُعِينُ زوجاته.

رابعاً- كان رسول الله ﷺ زوجاً وفيًّا مع زوجاته.

خامساً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يحترِم زوجاته.

سادساً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يتجمَّل لزوجاته.

سابعاً- كان رسول الله ﷺ زوجاً يعلِّم زوجاته.

---

(١) أبو داوود والترمذي والنسائي.

(٢) أخرجه أبو داوود والترمذي.

ثامناً- كان رسول الله ﷺ يحلُمُ عن زوجاته.

تاسعاً- ما ضرب رسول الله ﷺ امرأةً قط.

عاشراً- كان رسول الله ﷺ يعدلُ بين زوجاته.

ومن لم يحفظ من الأزواج هذه العشر فليحفظ قول رسول الله ﷺ: **«خيرُكم خيرُكم لأهله، وأنا خيرُكم لأهلي»**[١].

والله أعلم.

(١) أخرجه الترمذي.

المحاضرة الثالثة عشرة

واجبات الزوجة نحو زوجها

وقد أردتُ من خلال الحديث عن الرسول الزوج ﷺ في المحاضرة السابقة أن أتحدَّث عن واجبات الزوج نحو زوجته؛ لأننا مأمورون بالاقتداء بسيدنا محمد ﷺ، فما رَضيَ رضيناه، وما تَرَكَ تَرَكناه، وما فَعَل فَعَلناه، وما أحبَّ أحببناه، وما كَرِهَ كَرِهناه.

أما في هذه المحاضرة فالحديث عن الزوجة كما يريدها رسول الله ﷺ.

تَظهرُ في شهر المولد احتفالاتٌ كثيرة تنمُّ وتدلُّ على محبة المسلمين لرسول الله ﷺ، وهذا أمرٌ حَسَن، ولعلَّه ما من مسجد، ولا بيت، ولا سوق، ولا شركة إلا وتقيم الاحتفالات بمناسبة المولد النبوي الشريف؛ سروراً بولادة سيدنا محمد ﷺ، ودعوة إلى الإكثار من الصلاة والسلام عليه.

هذا أمرٌ حَسَن، لكني أريد أن أؤكِّد على اتِّباعه ﷺ، وتطبيق أمره، وتَرْك ما نهى عنه، حتى نتحوَّل من الأقوال إلى الأفعال والأعمال.

المرأة التي تحبُّ رسول الله ﷺ عليها أن تلتزم بواجبات الزوجة نحو زوجها إذا كانت حقاً ممن يحبون رسول الله ﷺ؛ ذلك لأن الأفعال أرجح في الموازين من الأقوال إذا ما وزنَّاها.

وهذه المحاضرة مهمة جداً لكلِّ اللواتي يتَّبعن رسول الله ﷺ ويرجون أن يشفع لهنّ.

وفي المقدمة أعرض حديثاً للسيدة عائشة رضي الله عنها قالت: (قلت: يا رسول الله، أيُّ الناس أعظَم حقاً على المرأة؟ فقال: «**زوجُها**») -الزوج أعظم الناس حقاً، أعظم حقاً من الأب، ومن الأم، ومن الأخ، ومن الأخت، ومن الابن، ومن البنت- (قلتُ: فأيُّ الناس أعظَم حقاً على الرجل؟ قال: «**أمُّه**»)(١).

فلتَعلَم كلُّ امرأة أن أعظَمَ حقوق الناس عليها هو حقُّ زوجها، فمهما رَعَت حقَّ هذا الزوج ازدادت قرباً من الله تعالى.

أما صفات الزوجة التي يريد رسول الله ﷺ أن تتحلَّى بها نساء المسلمين فإنها -فيما رأيتُها- أربع صفات:

أولاً- الطاعة في المعروف

هذه أحسن صفة تتصف بها امرأة مع زوجها، وهي صفة تقرِّبها من الله تعالى، وخير صفة يبحث عنها الزوج في زوجته، وهي عزُّ المرأة في الدنيا وفي الآخرة، وأول حقٍّ للزوج على زوجته.

---

(١) أخرجه النسائي في: الكبرى، والحاكم.

تقوم الحياة كلُّها على وجود رئيس ومرؤوس، وقائد ومَقُوْد، وآمر ومأمور، ففي كلّ شركة مديرٌ يأمر، وعمَّال يأتمرون، وواحدٌ من أسباب نجاح الشركة طاعة العمال لمديرهم، فإذا تمرَّد العمَّال، ودخلوا الشركة على غير استعداد للطاعة فسوف تتعثَّر خطوات الشركة أو يُطرَد العمَّال منها.

وفي كلِّ مدرسة يطيع الطالب مدرّسيه ومديرَه، فمِن اللحظة الأولى لدخوله المدرسة -بل قبل دخوله- يهيِّئه والداه لطاعة المدرِّس الذي يأمره وينهاه، وإن سعادة هذا الطالب في طاعة المدرِّس، أما إذا أبى طاعته فقال: هو إنسان وأنا إنسان، هو ذو عقل وأنا ذو عقل، أنا وهو متساويان، وإذا أطعتُه اليوم فعليه أن يطيعني غداً..!! فإنَّ هذا الطالب سيُطرَد من المدرسة، ولو فَرَضنا قيام المدرسة على هذا الأسلوب من التربية والتعامل بين الطلاب والمدرسين فإنها ستخفِق حُكماً.

وهكذا الحياة كلُّها، تقوم على قائد ومَقُود، ورئيس ومرؤوس، ومن جملة شؤون الحياة شؤون الأسرة، وقد أناط الله عز وجل قيادة الأسرة بالزوج، وأَمَر الزوجة أن تطيعه للحفاظ على سلامة مركبهما. عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: «**إذا صلَّت المرأة خَمْسَها، وصامَت شهرَها، وحَفِظَت فَرْجها، وأطاعَت زوجها، قيل لها: ادخلي الجنة من أيِّ أبواب الجنَّة شئتِ**»[١].

جعلَ الله تعالى دخول المرأة الجنة منوطاً بطاعتها لزوجها مع

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني والبزار.

صلاتها وصيامها وعِفَّتها، هكذا أَمَر الله وأَحَبّ، فإن كانت مؤمنةً صالحة تحبُّ الله وتحبُّ سيدنا محمداً ﷺ فهذا هو الطريق الذي أراده الله ورسوله لها.

ويقع على عاتق الآباء والمربين تعليم الفتيات طاعة أزواجهنّ، فعلى الأب أن يدرِّب ابنته على طاعة زوجها كما يدرِّب ابنه على طاعة معلِّمه في العمل. فحين يتأخَّر الابن مثلاً في العودة إلى البيت مساءً، ويسألُه والده عن سبب تأخُّره، يجيب: أمَرَني صاحب العمل أن أعمل ساعة إضافية، فيقول له الأب: إذا كان صاحب العمل أراد ذلك فلا بأس. فالأب بهذه الإجابة وهذا الموقف يدرِّبه على طاعة صاحب العمل. فلماذا لا يدرِّب الأب ابنته -بالطريقة نفسها- على طاعة زوجها، فيذكر لها قصص الزوجات الطائعات، وينقل إليها بشكل مباشر أو غير مباشر أنه يحترم من النساء مَن كانت طائعة لزوجها، فمهما زادت طاعتها زاد احترامه لها، وأنه ينفر من المتمرِّدة منهنّ.

يحدُث في بعض الأسَر أنه إذا تزوَّجت البنت وأراد أهلُها أن يذهبوا في رحلة مثلاً، وأحبّ الأب أو الأم أن تكون هذه البنت معهم، اتَّصلوا بابنتهم ليقولوا لها: نحن ذاهبون إلى رحلة في يوم كذا، تعالي إلينا الساعة كذا لنذهب معاً. فهذا الخطأ منهم؛ في إهمالهم إذن زوجها وفي عدم حثِّها على استئذانه، سيؤدي إلى الإساءة إلى حياتها الزوجية، إنهم بذلك يدرِّبونها على عدم الطاعة والاحترام.

أما الأب العاقل فالمأمول منه أن يقول لها: يا بنتي، نحن ذاهبون يوم كذا، الساعة كذا في رحلة، اسألي زوجك، إن رَضِيَ فنحن مسرورون بمجيئك معنا، وإن لم يرضَ فسروري كلُّه في طاعة زوجك وبقائك في بيتك. أو يتَّصل بصهره بحضور البنت وأمِّها، وربما كان يَكبُر صهرَه بضِعف عمره أو أكثر، يسلِّم عليه ويستأذنه أن يأخذ ابنته معه، وهو بذلك لا يَصغُر أبداً، إنما يأخذ بيد ابنته لدخول الجنة من باب رضا زوجها.

والأمُّ التي تغافل صهرها وتتصل بابنتها لتذهب معها إلى السوق؟ وحين تقول البنت: زوجي لا يأذن لي، تقول الأم: لا تخبريه، نذهب ونعود قبل أن يأتي!! هذه الأمُّ تدرِّب ابنتها على إهمال طاعة زوجها، ومن ثم على هدمِ حياتها الأسرية إن استمرت الفتاة على هذا الإهمال، والأم العاقلة هي التي تستأذن زوج ابنتها وتدرب ابنتها على الطاعة؛ لأنَّ الطاعة حياة، والحياة كلُّها تقوم على أن يتطاوع الناس فيما بينهم.

أقول: ربما أتاني إلى العيادة رجل له شأن اجتماعي كبير، فأقول له: اقعد! فيقعد. قم! فيقوم. تمضمض! فيتمضمض. ولا يشعُر بالصَّغار إذا أطاعني. بالمقابل فعندما أريد أن أعمل عملاً هندسياً في بيتي يقول لي المهندس: أفرغ البيت خلال يومين، فأُفرِغُه، ويقول لي: ادفع كذا، فأدفَع.

ربما يقول لك عامل التمديدات الصحية في بيتك: أغلق صنبور الماء الرئيسي، فتغلِقه.. فمهما كنتَ صاحب مكانة وشأن لا يقدح

في مكانتك، ولا يقلّل من شأنك أن تطيع صاحب الإدارة في اختصاصه. الحياة كلُّها تقوم على أن يُسخِّر بعضنا بعضاً، تطيع مديريك ويطيعك عمَّالك، فما المانع أن تطيعَ الزوجةُ زوجَها؟!

لا بدَّ أن تتدرَّب الفتاة -إذا كانت من الموفَّقات الصَّالحات- على طاعة زوجها، وهذا شرفٌ لها وفخرٌ، وليس شرفاً لها ولا فخراً عصيانُ أمرِ الزوج والتمرُّد عليه، بل هو من السوء بمكان. جاء في حديث حصين بن محصن ﷺ أنَّ عمة له أتت النبيَّ ﷺ في حاجة، ففَرَغَت من حاجتها، فقال لها النبي ﷺ: «**أذاتُ زوجٍ أنتِ؟**» قالت: نعم، قال: «**فأين أنتِ منه؟**» -قال: يعني: فكيف أنت له؟- قالت: ما آلوه[1] إلا ما عجزتُ عنه، قال: «**انظري أين أنتِ منه، فإنه جنَّتكِ ونارك**»[2].

وعن أسماء بنت يزيد الأنصارية ﷺ أنها أتت النبي ﷺ وهو بين أصحابه، فقالت: بأبي أنت وأمي، أنا وافدة النساء إليك، واعلم -نفسي لك الفداء- أنه ما من امرأة كائنة في شرق ولا غرب سَمِعَتْ بمَخرجي هذا أو لم تسمَع إلا وهي على مثل رأيي. إن الله بعَثَك إلى الرجال والنساء كافة، فآمنا بك وبإلهك، وإنَّا -معشر النساء- محصوراتٌ مقصوراتٌ، قواعدُ بيوتكم، ومفضى شهواتكم، وحاملاتُ أولادكم، وإنكم -معاشر الرجال- فُضِّلتُم علينا بالجُمَع والجماعات، وعيادة المريض، وشهود الجنائز، والحجّ بعد

---

(١) يعني: لا أقصر في خدمته.

(٢) أخرجه أحمد والطبراني والحاكم.

الحجّ، وأفضلُ من ذلك الجهادُ في سبيل الله عز وجل، وإن الرجل منكم إذا خرج حاجّاً أو معتمراً أو مرابطاً حفِظنَا لكم أموالكم، وغزلنا لكم أثوابكم، وربَّينا لكم أولادكم، فما نشارككم في الأجر يا رسول الله؟ فالتَفَتَ النبي ﷺ إلى أصحابه بوجهه كلِّه، ثم قال: **«هل سمعتم مقالة امرأة قط أحسَن في مسألتها عن أمرِ دينها من هذه؟»** فقالوا: يا رسول الله، ما ظننَّا أن امرأة تهتدي إلى مثل هذا، فالتَفَتَ النبي ﷺ إليها، فقال: **«انصرفي -أيتها المرأة- وأَعْلِمِي مَن خَلْفَك من النساء أنَّ حُسْنَ تبعُّل إحداكنَّ لزوجها، وطلبها مرضاتَه، واتِّباعها موافَقَتَه تعدل ذلك كلّه»**، قال: فأدبرت المرأة وهي تهلّل وتكبِّر استبشاراً.

وفي رواية: **«أبْلِغي من لقيتِ من النِّساء أن طاعة الزوج واعترافاً بحقِّه يعدل ذلك، وقليل منكنَّ من يفعَله»**[(١)].

فالواجب الأول على الزوجة نحو زوجها أن تطيعه، وهذه الطاعة تكون بالتدريب، فليدرِّب كل أبٍ بناته على طاعة أزواجهنّ، تَسعَد البنت بذلك، ويَسعَد زوجها، ويَسعَد أبناؤها، وتستمرُّ أسرتها.

أما إذا درَّب الأب ابنته على النشوز، فقال لها: أنتِ مِثل زوجكِ، هو يأمر اليوم وأنت تأمرين غداً!! لا تستجيبي له حتى يستجيب لك..!! فهذا الأب يُفسِد ابنته، ويُفسِد ما بينها وبين زوجها وأولادها، الأمر الذي يؤدي إلى سخط الله تعالى عليها.

---

(١) البزار في: المسند، والبيهقي في: الشعب.

لعلَّ موظفة يُزعِجها مديرها في العمل بأوامره، ومع ذلك تطيع أوامره؛ لأنها تبتغي الأجر في آخر الشهر، لكنك تعجب لها حين لا تطيع في بيتها أمر زوجها!! تُرى أيهما أفضل: الأجر الشهري أم الزوج الصَّالح الذي يخاف الله تعالى؟ عجباً لامرأة تجدها تطيع ذاك الغريب لأجلِ مبلغٍ زهيد، ثم تتمرد على أوامر زوجها؟!

تقول الفتاة: ما الذي رفَعَه ووضعني؟ أنا وهو سيَّان (مِثلي مِثله)!! أقول: الذي يرفعه ويرفعك، ويَضَعه ويَضَعك التزام أوامر الله تعالى أو عدم الالتزام، وأنت وهو متساويان أمام الله تعالى في الثواب والعقاب، أما في علاقتكما الأسرية فأنتما مختلفان، وله عليك القوامة. يقول الله عز وجل: ﴿ٱلرِّجَالُ قَوَّٰمُونَ عَلَى ٱلنِّسَآءِ بِمَا فَضَّلَ ٱللَّهُ بَعْضَهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ وَبِمَآ أَنفَقُواْ مِنْ أَمْوَٰلِهِمْ﴾ [النساء: ٤/ ٣٤].

وقال سبحانه: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٢٨].

فإذا كنتِ أَمَةً لله صالحة فأطيعي أمر الله، أمَّا إن أردتِ أن تطيعي ما يأتي من الشرق والغرب الذي ضاعَت عنده الأُسَر، وأردتِ أن تُصغِي إلى ما يَشيع من الكلام الذي يهدم الأُسَر، وإلى الأفكار التي تسمِّم العائلات، فاقنعي بما شئتِ، لكن تأكَّدي أنَّ البيت سينهار.

وإذا أطاعت الزوجة زوجها مَلَكَت قلبَه وعقله وجوارحه، فسَعِدَت وأسعَدَت، أما إذا أرادت أن تنافسه في إدارة البيت فقد فسَدَت وأفسَدَت.

ثانياً- الأمانة

ونعني بالأمانة: أن تحفَظَ الزوجة أسرارَ زوجها، وأولادَه، ومالَه، وبيته، وشرفه.

عن ابن عمر رضي الله عنهما قال: قال رسول الله ﷺ: **«كلُّكم راعٍ، وكلُّكم مسؤولٌ عن رعِيَّته: الإمامُ راعٍ، ومسؤولٌ عن رعيَّته، والرجل راعٍ في أهله، ومسؤولٌ عن رعيَّته، والمرأةُ راعية في بيت زوجها، ومسؤولة عن رَعيَّتها، والخادمُ راع في مال سيِّدِهِ، ومسؤول عن رَعِيَّتِهِ»**. قال: وحسبتُ أن قد قال: **«والرَّجُلُ راع في مال أبيه، ومسؤول عن رعيَّته، فكلُّكم راع، وكلُّكم مسؤول عن رعيَّته»**[1].

نعم، سيسأل الله تعالى يوم القيامة كلَّ امرأة هل أفشَت سرَّ زوجها؟ لأنها مؤتمنةٌ على أسراره. قال رسول الله ﷺ: **«إذا حَدَّث رجل رجلاً بحديث ثم التَفَتَ فهو أمانة»**[2]. وقال ﷺ: **«المجالس بالأمانة»**[3]. فما المبرِّر أن تُخبِر بنتٌ أمَّها بحال زوجها المادي؟! هذا سرٌّ!! وما المبرِّر أن تُخبِر زوجةٌ جارتها بما يفعل زوجُها داخل البيت؟! هذا سرٌّ!! ثم لا يجوز شرعاً أن تُفشي المرأة أسرار زوجها التي لا يَرغَب بإطْلاع الناس عليها، سواء أفشَت السرَّ لأبيها، أو لأمها، أو لأختها، أو لأخيها، أو لجارتها...

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه أبو داوود والترمذي.

(٣) أخرجه أبو داوود.

والأسوأ منه الحديث عن العلاقة الخاصَّة بين الزوجين، فهذا سرٌّ عظيم، سيَسأل الله عنه يوم القيامة، أحُفِظَ أم لم يُحفَظ. قال رسول الله ﷺ: «**عَسى رجلٌ يحدِّث بما يكون بينه وبين أهلِه، أو عسى امرأةٌ تحدِّث بما يكون بينها وبين زوجها، فلا تفعلوا، فإن مَثَل ذلك مَثَل الشيطان لَقِي شيطانة في ظهر الطريق فغشيها، والناس ينظرون**»[١].

وكذلك الزوجة مؤتمنةٌ على مال الزوج: قال العلماء: (يحرُم على المرأة أن تتصدَّق من مال زوجها إلا بإذنه). هذا حال الصَّدقة، فكيف بمن ترمي شيئاً من مال زوجها الذي يكدّ ويجهَد للحصول عليه في سلَّات القمامة؟!!

تَحفَظ بعض النساء عِرضَ زوجها دون ماله، تظنُّ أنه إذا اغتنى تزوَّج عليها! فتضطر إلى (قصِّ أجنحته حتى لا يطير)، تُبدِّد ماله ما استطاعت، وتُتلِف النافع والمفيد؛ لأنَّ الرجل (إذا صار طار)!! كما يقلن في الأمثال الشعبية. ليست صالحةً امرأةٌ هذا شأنها؛ إذ لا ترعى أمانة الله وأمانة زوجها وأسرتها، والحقَّ أقول: إنها تخطِّط لطلاقها بنفسها، وتحفر قبر زواجها بيدها؛ لأن زوجها لو اطَّلع على فعلتها لتَرَكها وذهب إلى غيرها.

عندما نتذكر اقتصاد جدَّاتنا وأمَّهاتنا تستوقفنا دقّته، كان الأب يأتي إلى البيت بكمِّية من الحليب، يَشرَب الأولاد منه، فإذا بَقيَت منه بقية خافت عليه الأمُّ التَّلفَ، فتطبخه رزاً بالحليب، فإن كان

---

(١) أخرجه أحمد والطبراني.

أولادها لا يشربون الحليب حوَّلت الحليب إلى لبن، فإن شَعرَت أنه ستفضل منه فضلة وتفسُد وَضَعَته في قطعة قماش لتصنع منه اللبن المصفَّى، فإذا أكلوا من اللبن المصفى وشَعَرَت بأنه سيزيد منه، وضَعَت فيه ماء وبرغلاً لتصنع منه (الكشكة)!! يعني: كانت أمهاتنا يعتنين بالنعمة إلى أدقّ التفاصيل، وتَحفَظ المرأة منهن أمانة مال زوجها غاية الحفظ، فلا ترمي بشيء من الغذاء ولا الكساء، طاعة لله، وأدباً مع نعمته، وحفظاً لمال الزوج.

كانت الجدة أو الأم توهِم الأولاد أنّ الله تعالى كَتَب على كلِّ حبة أرز سورة الإخلاص، فلا يجوز رَميُها أو احتقارها، فترى الأولاد يقدِّسون النعمة ويحترمونها.

أما اليوم فقد اختَلَفَت أحوال بعض نسائنا، فإذا جاء موسم المؤنة رأيت في الطريق أمام حاويات القمامة أكياساً من البازلّاء والفول المثلَّجة مرميَّة في الشارع، تقول إحداهن: هذا قديم، سندَّخر جديداً!! وفي نهاية العام الدراسي ترى الكُتُب والدفاتر وملابس المدارس مرميَّة في الطرقات. ولستُ حانثاً إن حَلَفتُ بالله: إنَّ الله سيسأل هذه المرأة التي طرحتها.

عند مناسبات الأعياد وغيرها، وفي أثناء تنظيف البيوت ترى قطع الأثاث والفَرش في بعض الأحيان ملقاة على قارعة الطريق، حتى وجدنا أناساً يعملون بجمع ما يُرمى في القمامة، فيبيعونه أو ينتفعون به، بمعنى أنَّ الناس يرمون أشياء نافعة وتصلح للاستخدام.

اليوم، في العالم المتقدم يُعاد تصنيع القمامة: الأوراق التي

نرميها، وعلب الشراب المعدنية، وزجاجات الشراب، وقطع البلاستيك، تُكرَّر كلُّها ويعاد تصنيعها. القمامة يعاد تصنيعها، في حين ترمي المرأة مال زوجها!!

يُقال في المثل القديم: (الرجل جنّى والمرأة بنّى)، الذي يجني هو الرجل، والتي تبني هي المرأة، فإذا رأينا عمَل الزوج جيداً وبيتَه سيِّئاً أدركنا أنه -على الأغلب- ابتُليَ بامرأة لا ترعى مال زوجها؛ إذ لم تحسِن البناء داخل البيت، وبدَّدت نعمة الله تعالى.

أيتها الفتاة: تحتاج الحياة إلى جهد منكِ، فلا تصدِّقي ما تشاهدينه في الأفلام والمسلسلات حيث تعرَض الفتاة على أن شأنها الوقوف أمام المرآة والمكياج والأغاني والبرامج الغنائية الهابطة... خيرٌ لكِ من هذا أن تتعلَّمي شيئاً من التدبير المنزلي، وشيئاً من الخياطة، وشيئاً من صناعة الحلويات البيتية، وشيئاً من الإسعافات الأولية، وشيئاً من فنون المنزل... ترعَين بذلك نفسك وزوجك ومالَه.

ثالثاً- طَلَبُ رِضاه

تحصيل رضا الزوج ليس أمراً مستحيلاً، لأن من اختار زوجته من بين مئات النساء، ورضي أن يعيش معها باقي عمره، أمكن تحصيل رضاه. وأي غضاضة تلحق بامرأة إذا هي طلبت رضا زوجها بقولها وفعلها، وأدخلت السرور عليه؟!! فعن أمّ سلمة رضي الله عنها قالت: قال رسول الله ﷺ: «**أيما امرأة ماتت وزوجُها عنها راضٍ**

دخَلَت الجنة»[١]. وقد جاء في الأثر: «ما من مؤمن أدخل على مؤمن سروراً إلا خلق الله من ذلك السرور ملكاً يعبد الله ويمجده ويوحده فإذا صار المؤمن في لحده أتاه السرور الذي أدخله عليه فيقول له: أما تعرفني؟ فيقول: من أنت؟ فيقول: أنا السرور الذي أدخلتني على فلان. أنا اليوم أؤنس وحشتك، وألقنك حجتك، وأثبتك بالقول الثابت، وأشهد بك مشهد القيامة، وأشفع لك من ربك، وأريك منزلك من الجنة»[٢]. وقال النبي ﷺ: «**ألا أخبركم بنسائكم في الجنة؟**» قالوا: بلى يا رسول الله، قال: «**كل ودود ولود**» -تتودَّد إلى زوجها- «**إذا غضبت**» -والحياة بلا ريب فيها منغِّصات- «**أو أسيء إليها، أو غضب زوجها**» - ربما صرخ في وجهها أو تكلم كلمة لا تليق، ولعلها تكون هي السبب، أخطأت فغضب- «**قالت: هذه يدي في يدك، لا أكتحل بغَمْضٍ حتى ترضى**»[٣]، أي: لا أنام حتى ترضى. تُرى ما موقف هذا الزوج إذا قالت له زوجته هذه الكلمة، حتى وإن كان في ذروة غضبه منها؟ أقول: لو طَلَبَت عينيه لأعطاها. هذه هي امرأةُ الجنة، أما المحرومات فشأنهن ما جاء في حديث النبي ﷺ: «**ثلاثة لا تجاوِزُ صلاتُهم آذانهم: العبد الآبق حتى يرجعَ، وامرأة باتتْ وزوجُها عليها ساخِط، وإمامُ قوم وهم له كارهون**»[٤]. وحديثه

---

(١) أخرجه الترمذي والحاكم.

(٢) ابن أبي الدنيا في قضاء الحوائج.

(٣) أخرجه النسائي في: الكبرى، والطبراني.

(٤) أخرجه الترمذي.

ﷺ: «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته**» تقول: إنها تريد أن تعاقِبه -أحياناً يُسمَع هذا من بعض النساء السيئات جداً- «**إذا دعا الرجل امرأته إلى فراشه فلم تأته، فبات غضبان عليها لعنتها الملائكة حتى تصبح**»[1]. ملائكة الله كلُّهم يدعون: (اللهم العنها، لعنة الله عليها) طيلة الليل!!

فإذا أرادت امرأة أن تدخل الجنة في الدنيا وفي الآخرة فعليها طلب رضا ربها ثم رضا زوجها.

حُدِّثتُ عن رجل بلغ الثمانين من العمر، قال لما ماتت زوجته: «ما أزعجتني طيلة حياتي معها، ولا باتت في بيت أهلها ليلة عن خصومة أو شجار بيننا». هذه كلمة ثمينة جداً، وهذه امرأة تشرى بالذهب، وشهادة زوجها بها أفضل من كل شهادة جامعية تحصلها المرأة في حياتها، لأنها أنشأت أسرة صالحة، حمت بها نفسها وزوجها وأولادها، فساعدت على سلامة مجتمعها وكماله، وهل المجتمع المعافى إلا أسرٌ متماسكة؟

قال لي رجل مرة: إن زوجته وهي في النزع صارت تقول له: «أعزتني أعزك الله»، في النزع تتكلم مع زوجها هذا الكلام، تُرى ماذا كانت تقول له حال عافيتها، وماذا فعل هو حتى استحق هذا؟ هذا الزوج وزوجته لهما رتبة عالية في الدنيا والآخرة، وحُسنُ التعامل مع الزوجة أو الزوج له قيمة عالية في الدنيا والآخرة.

(١) متفق عليه.

رابعاً- طَلَبُ إذنِه

يحبُّ الرجل من زوجه التزامها بإذنه واحترامها لإدارته، ويحترمها إن احترمت أمره، وقد جاء الشرع الحنيف ليؤكد ضرورة استئذان المرأة زوجها. قال رسول الله ﷺ: «**لا تصوم المرأة وبعلها شاهد إلا بإذنه**»(١). ومع كون الصيام طاعة لله تعالى، فقد نهى الشرع المرأة أن تصوم نفلاً من دون إذن زوجها. قال جمهور العلماء: يحرم صيام النافلة على المرأة من دون إذن زوجها، أما صيام الفرض فلا يحتاج إلى إذن؛ لأن الشارع أمَرَ به، في حين أنه نَدَبَ إلى السُّنَّة، ولو صامت المرأة نافلة بغير إذن زوجها صحَّ الصيام مع الإثم. قال العلماء: في هذا الحديث دليلٌ على أن حق الزوج أهم من أداء النوافل؛ لأن طاعة الزوج واجبة، أما النوافل فهي سنَّة، والفرض مُقَدَّم على السُّنَّة.

وقال النبي ﷺ: «**لا يحلُّ لامرأةٍ تؤمِن بالله أن تأذَنَ في بيت زوجها وهو كارِه، ولا تخرج وهو كارِه**»(٢). فلا يصح أن تُدخِل المرأة أحداً بيتَ زوجها وهو كاره، كأن تقيم وليمة لأهلها في بيت زوجها، والزوج غير مستعدٍّ لهذا الأمر. وليس لها أن تخرج من البيت إلا بإذن زوجها، وصفة نساء الجنة المكوث في البيت، وصفهنَّ الله تعالى بقوله: ﴿حُورٌ مَّقْصُورَٰتٌ فِى ٱلْخِيَامِ ﴿٧٢﴾﴾ [الرحمن: ٥٥/٧٢]. قال مجاهد -رحمه الله- في تفسير هذه الآية: «مقصورات

---

(١) متفق عليه.

(٢) الطبراني والحاكم.

في الخيام: لا يخرجن من بيوتهن»، وقال الحسن رحمه الله: «محبوسات لسن بطوافات في الطرق والخيام»[١]. أما نساء الشوارع فخرَّاجات ولَّاجات، أكثر أوقاتهن في الشوارع والأسواق، لا تأتي إحداهن إلى بيتها إلا لموعد، وتمضي باقي وقتها خارج البيت، مع رفيقاتها، وعند أهلها ...

يقول رسول الله ﷺ: **«لا تؤذي امرأةٌ زوجَها في الدنيا إلا قالت زوجته من الحور العين: لا تؤذيه قاتَلَكِ الله، فإنما هو عندكِ دَخيلٌ، يوشك أن يفارقك إلينا»**[٢].

تدافع عنه زوجته من الحور العين في الجنة، وتدعو على امرأته التي تؤذيه في الدنيا، ولعلها لا تكون معه في الآخرة، أما المرأة التي ترعى زوجها في الدنيا فيجعلها الله أفضل أزواجه في الآخرة.

هذه هي الواجبات الأربعة على المرأة لزوجها فيما رأيتُها من أحاديث النبي ﷺ:

الطاعة في المعروف. الأمانة. طلب رضا الزوج. طلب إذنه.

نعم، يريد الإسلام لبيوتنا أن تَعمُر بالحياة الصحيحة، الأمر الذي حدا العالم غير المسلم أن يبحث عن المنهج الإسلامي في إنشاء الأسر.

في ألمانيا -اليوم- وزارة كاملة للعائلات، قامت لتكوين

---

(١) تفسير الطبري وابن حميد.

(٢) الترمذي وابن ماجه.

الأُسَر، وحماية الأُسَر، ورعاية الأُسَر، وإنشاء الأُسَر، ودعم الأُسَر، وقد قالت وزيرة العائلات الألمانية في حديث لها على التلفاز الألماني: «إن مستقبل ألمانيا يكمُن في هذه الأُسَر المسلِمة القادمة إلينا، تعالوا ندمجهم في مجتمعنا، نعلِّمهم لغاتنا، نُقبِل عليهم، نتعلم منهم كيف يعيش بعضهم مع بعض أزواجاً وزوجات».

فالأسرة المسلمة التي تعيش كما أمر سيدنا محمد ﷺ ترقى وتستمر وتدوم، أما الأُسَر التي تريد أن تعيش على الطريقة الغَرْبية؛ حيث لا يرعى الزوج حرمةً لزوجته، ولا ترعى الزوجة أمانة لزوجها، يقضي الزوج والزوجة وَطَرَهما أحدهما من الآخر، ثم يمضيان!! فلا تدوم ولا تُثمِر.

نسأل الله تعالى أن يحسن اتِّباعنا لسيدنا محمَّد ﷺ.

المحاضرة السادسة عشرة

قواعد مهمّة لاحتواء المشكلات الزوجية

في البداية لا بد من ذكر حقيقة مهمة، وهي أن الحياة الزوجية ليست راحة كلّها، وليست سكوناً كلّها، وليست ودّاً واتفاقاً كلّها، بل راحةٌ حيناً وتعبٌ حيناً آخر، وسرورٌ حيناً وحزنٌ حيناً آخر، واتفاق حيناً واختلافٌ حيناً آخر، ووئامٌ حيناً ومشكلات حيناً آخر... وليس في العالم كله زوجان يخلوان من الاختلاف كلياً، ولا تجد زوجين تسير حياتهما دائماً في اتفاق وودٍّ ووئام، إذ لا بدَّ من الاختلاف، ومن ثَمّ لا بد من المشكلات.

والاختلاف سنة الله تعالى في هذه الحياة؛ إذ قال: ﴿وَلَوْ شَآءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ ٱلنَّاسَ أُمَّةً وَٰحِدَةً ۖ وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ ﴿١١٨﴾ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ ۚ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ ۗ﴾ [هود: ١١/١١٨-١١٩]. فالله جل جلاله قادر على جعل ميول الناس واحدة، ورغباتهم متطابقة، وآمالهم متماثلة، لكنه جل جلاله لم يفعل؛ لأن الحياة بهذه الصورة وبهذا الشكل تغدو قبيحة جداً، فتصور لو كان البشر كلهم يحبون اللون نفسه، والطعام نفسه، واللباس نفسه، وكان صوتهم واحداً، وشكلهم واحداً، ولسانهم واحداً، وحركاتهم واحدة، ونظراتهم واحدة، ويفكرون بالطريقة نفسها... لو كان الأمر كذلك لخربت الدنيا، لهذا

جعل الله تعالى الاختلاف، وسنَّه قانوناً في هذه الحياة وجمَّله؛ لأنه يعطينا التكامل إن استطعنا إدارته بوعي وحكمة.

فكيف يمكن للزوجين احتواء الاختلافات والمشكلات الزوجية؟

كثيراً ما أقول: ليست المشكلة في ذات المشكلة، إنما المشكلة في طريقة التعامل مع المشكلة، وليس الخوف من الاختلاف الواقع بين الزوجين، لكن الخوف -كل الخوف- في طريقة تعامل الزوجين مع هذا الاختلاف.

ثم هناك حقيقة أخرى لا بد لكل شاب وفتاة أن يعلماها، وهي أنّ أصعب سنةٍ في الزواج هي السنة الأولى، على عكس المفهوم الشائع أن الشهر الأول هو شهر العسل، والسنة الأولى هي سنة السعادة، وذلك لأن المشكلات في السنة الأولى كثيرةٌ، وتظهر فيها الاختلافات بأنواعها، وفي السنة الثانية تتحسن طريقة التعامل مع المشكلة، إذ يتدرب الشاب على طريقة التعامل مع زوجته عند المشكلات، وكذلك الفتاة أيضاً، فالسّنة الثانية أفضل من الأولى، والسنة الثالثة أفضل، والرابعة أفضل.. وهكذا، كلَّما طالت الحياة بالزوجين وصلا إلى تفاهم في طريقة التعامل مع الحياة بمختلف مفرداتها.

وهذه بعض القواعد المهمة لاحتواء المشكلات الزوجية:

القاعدة الأولى:

(أصلح ما بينك وبين الله يصلح الله ما بينك وبين زوجك)

إذا رأى الزوج في بيته مشكلةً جديدة فليفزع إلى الله تعالى بالاستغفار والتوبة، فلعله عمل اليوم عملاً لم يكن يعمله قبل، ولعله اجترح اليوم ذنباً ما كان أذنبه أمس. كان بعض الصالحين يقول: (إني لأعرف حالي مع الله تعالى من خلق زوجتي). فإن رأى الزوج زوجته تصطنع المشكلات، وتتتبع أموراً ما كانت تتتبعها، ورآها تتصرف على غير عادتها، فلينظر في نفسه، لعله عمل عملاً لا يرضي الله. والعكس صحيح: إن رَأَت الزوجة من زوجها قسوةً أو إعراضاً أو مخاصمةً فلتفزع إلى الله بتوبة وإصلاح. جاء في الأثر: (من أصلَحَ جوانيه أصلح الله له برانيه)، وقال ﷺ: «**من جعل الهموم هماً واحداً كفاه الله ما أهمَّه من أمر الدُّنيا والآخرة، ومن تشعَّبَت به الهموم لم يبالِ الله في أي أودية الدُّنيا هلك**»[1].

القاعدة الثانية:

(ليست المشكلات الزوجية شراً كلُّها، بل ربما كان فيها خير)

قال تعالى: ﴿وَعَسَىٰٓ أَن تَكۡرَهُواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّواْ شَيۡـًٔا وَهُوَ شَرّٞ لَّكُمۡۚ وَٱللَّهُ يَعۡلَمُ وَأَنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢/ ٢١٦].

---

(١) أخرجه الحاكم في: المستدرك.

وقال سبحانه في سورة النساء: ﴿فَإِن كَرِهْتُمُوهُنَّ فَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا شَيْـًٔا وَيَجْعَلَ ٱللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ [النساء: ٤/١٩]. لعلَّ أحد الزوجين -أو كليهما- يتضايق من مشكلة في البيت، ويتضجر منها، لكن الله تعالى يهيئ لهما من هذه المشكلة خيراً كبيراً من حيث لا يعلمان. وأوضح مثال على ذلك حادثة الإفك، حين أرجَفَ المنافقون على السيدة عائشة رضي الله عنها، اتَّهموها بالفاحشة مع صَفْوان بن المُعطِّلِ صاحب رسول الله ﷺ، وشاع الخبر في أرجاء المدينة، وتحدّث الناس بهذا الأمر المرعِب[1]، فأنزل الله تعالى براءتها في القرآن الكريم، فقال: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ﴾ [النور: ٢٤/١١].

فالمقادير لا تجري إلا بخير، ولو اطَّلعتم على الغيب لاخترتم الواقع، فلا تُكثِرِ التَّذمُّر من مشكلة تطرأ في بيتك؛ لأن هذه المشكلة تخبئ وراءها خيراً كبيراً لك ولزوجك، إن اتقيتما وصبرتما، لكنكما لا تعلمانه، الله يعلمه ﴿وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ﴾ [البقرة: ٢/٢١٦]. وقد قال الصالحون: (وراء كلّ محنةٍ مِنحةٌ، ووراء كلِّ بليَّة عطيَّة، ووراء كلِّ عسر يسرٌ، ووراء كلِّ شِدَّة شَدَّة، ووراء كل ضيق فَرَج).

---

(١) ينظر الحديث عند البخاري ومسلم وغيرهما من حديث عائشة رضي الله عنها، منعني طوله من إيراده هنا.

من فوائد المشكلات الزوجية

١- تكفير الذنوب

قال رسول الله ﷺ: «مَا يُصِيبُ الْمُسْلِمَ مِنْ نَصَبٍ، وَلَا وَصَبٍ[١]، وَلَا هَمٍّ، وَلَا حَزَنٍ، وَلَا أذىً، وَلَا غَمٍّ، حَتَّى الشَّوكَةُ يُشَاكُهَا إِلَّا كَفَّرَ الله بِهَا مِنْ خَطَايَاهُ»[٢]. فالبلايا ممحاة للذنوب، وليست شراً كلّها.

٢- مضاعفة الأجور

ذَكَرَ الله تعالى امرأة فرعون في القرآن الكريم، فقال: ﴿وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾ [التحريم: ٦٦/١١]. ذُكِرَت في القرآن الكريم؛ لإيمانها العظيم، وصبرها، وتحمُّلها لمشكلات زوجها.

أقول: فرعون أسوأ زوج تُبتَلى به زوجةٌ، هو أَكْفَر الكَفَرَة، وأَظلَم الظَّلَمَة، ولَئِن تجرَّأَ على رب العالمين، فلابد أنه كان يعتدي على أهل بيته، ويظلمهم ويسيء إليهم. لكن امرأته بإيمانها العظيم بالله تعالى، ثم بصبرها على زوجها صارت من سيدات نساء الجنة، وخلَّد الله اسمها في القرآن الكريم، وجعلها مثلاً

---

(١) النَّصَب: التعب، والوَصَب: المرض والسقم.

(٢) متفق عليه.

للذين آمنوا. قال رسول الله ﷺ: «**سيدات نساء أهل الجنة: مريم بنت عمران، ثم فاطمة بنت محمد ﷺ، ثم خديجة، ثم آسية امرأة فرعون**»[1].

فإن ابتُلِيَت امرأةٌ بزوج سيِّئ فلتذكر السيدة آسية. وإن ابتُلِيَ رجل بامرأة سيئة فليذكُر سيدَنا لوطاً عليه السلام، عندما كَفَرَت امرأته به، وتحالفت مع أعدائه عليه.

ذُكِر عن رجلٍ اسمه أبو عبد الله القرشي أنه كان من الصالحين، وكانت امرأته ذات خلق سيِّئ، فكان يصبر عليها، ويتحمَّل أذاها، ويحاول تهذيبها، لكنَّ المرأة بقيت على حالها السيِّئ، لا تتغيَّر ولا تتبدَّل. وفي يوم من الأيام ضاق صدره، ففرَّ من البيت هارباً؛ وخرج إلى الفلاة، وأوى إلى غارٍ فيه عابدان، جلس معهما يتعبَّد الله تعالى طيلة نهاره، ولمّا أمسَوا قام أحد العابدَين ودعا الله تعالى أن يرسِل لهم طعاماً ليأكلوا، فأرسل الله تعالى لهم رجلاً بوعاء فيه طعام يكفيهم، فشكَروا الله وجلسوا يأكلون. وفي مساء اليوم الثاني قام العابد الآخر، ودعا الله تعالى أن يرسِل لهم طعاماً ليأكلوا، فأرسل الله تعالى لهم رجلاً بوعاء فيه طعام يكفيهم، فأكلوا. ولما جاءت الليلة الثالثة قالوا لأبي عبد الله القرشي: قم فادعُ الله لنا أن يرزقنا الطعام، فقال لهم أبو عبد الله: إن حالي ليس كحالكم، ولا أستطيع أن أدعوَ كدعائكم، قالوا: لا بد أن تدعوَ لنأكل، وإلا فارحل عنا، فليس لك بيننا مقام، فألجؤوه للدعاء،

---

(١) أخرجه الطبراني في: الكبير والأوسط، والحاكم في: المستدرك.

وما إن أنزل يديه حتى أتى رجلٌ يحمل وعاءين فيهما طعام كثير. ذُهِل العابدان!! وقالا له: بماذا دعوتَ الله؟ فنحن نعبد الله منذ سنوات ولا يأتينا إلا وعاء واحد، وأنت لم تجلس معنا إلا يومين فأتاك وعاءان من الطعام!! أخبرنا بماذا دعوت!؟ قال أبو عبد الله القرشي: لم أزد على أني قلت: يا رب، أنا جاهل، وهؤلاء أولياء وصالحون، وأنا لست مثلهم، فأسألك بالدعاء الذي يدعوانك به أن تأتينا بطعام! ثم قال لهما: أخبراني الآن بماذا تدعوان؟ فقالا له: نسمع أن في هذه القرية القريبة رجلاً اسمه أبو عبد الله القرشي، وهذا الرجل مبتَلى بسوء خُلُق زوجته، وهو صابرٌ محتسب، وإنا لنقول: اللهم ببركة صبر أبي عبد الله القرشي على زوجته أنزل علينا طعاماً، فنأكل ببركة صبره عليها. فنظر أبو عبد الله القرشي إلى نفسه وقال: يا نفس، يسأل الصالحون الله تعالى بصبرك، وأنت تأبين الصبر؟! ثم عاد إلى بيته(١).

فالمشكلات الزوجية لها وجه إيجابي، لعلَّ الله تعالى يرفع بها مقام الرجل بصبره، أو يرفع مقام المرأة بصبرها. قال رسول الله ﷺ: **«أشدُّ الناس بلاءً الأنبياء، ثم الأَمثَل فالأَمثل، يُبْتَلَى الرجل على حسب دينه، فإن كان في دينه صُلْباً اشتدَّ بَلَاؤُهُ، وإن كان في دينه رِقَّةٌ ابْتُلِيَ على قدْر دينه، فما يبرح البلاء بالعبد حتى يَتْرُكَهُ يمشي على الأرض وما عليه خَطِيئَةٌ»**(٢).

---

(١) هذه القصة لا أعلم إن كانت حقيقية، ولعلَّها تربوية.

(٢) أخرجه الترمذي وابن ماجه.

٣- التذكير بحقيقة الحياة الدنيا

فالدنيا دار تعب، وإنك لن تجد إنساناً حاز السعادة المطلقة في هذه الحياة؛ ترى رجلاً صحَّته جيدة، ورزقه وافر، لكنَّ امرأته سيئة. وترى آخَر امرأته صالحة، ورزقه وافر، لكنه مريض. وترى ثالثاً صحته جيدة وامرأته جيدة، لكن رزقَه ضيِّقٌ. وترى رابعاً صحته جيدة، وامرأته صالحة، ورزقه وافر، لكنه مبتلى بأولاده... وهكذا الحياة والأحياء.

طُبِعَت على كدرٍ وأنتَ تريدها صفواً من الأقذاء والأكدار

ومُكلِّف الأيام ضدَّ طباعها متطلِّبٌ في الماء جذوة نار

وللمشكلات فوائد أخرى لستُ بمعرض جمعها هنا.

القاعدة الثالثة:

(في حال حدوث مشكلة لا تلجأ إلى سبعة أمور: ١- الهجر وترك البيت. ٢- إدخال الأبناء في الخلاف. ٣- السِّحر والشعوذة. ٤-طلب الطلاق. ٥- الدُّعاء بالهلاك. ٦- التهديد بالزوجة الثانية. ٧- الضرب والسَّبُّ واللَّعن).

لا تجد منزلاً يخلو من المشكلات، فسيدنا محمد ﷺ خير خلق الله، وزوجاته الكريمات خير نساء الدنيا، وقع في بيوتهنّ خلاف، كالذي كان بينه ﷺ وبين السيدة عائشة رضي الله عنها[1]، وكذلك

(١) والحديث في مسند الإمام أحمد برقم (١٨٤١٨): (جاء أبو بكر يستأذن على النبي ﷺ فسمع عائشة وهي رافعة صوتها على رسول الله ﷺ...).

اختلف سيدنا علي رضي الله عنه مع السيدة فاطمة رضي الله عنها[١].

ففي البيوت كلها خلافات: بيوت العلماء، والأطباء، والحرفيين، والأصحّاء، والمرضى...

فإن حَدَثَت المشكلة في البيت فلا تلجأ إلى سبعة أمور:

الأمر الأول: الهجر وترك البيت

من أكبر الأخطاء -إذا وقَعَت المشكلة- أن يترك الرجل بيته ويخرج، ثم لا يعود حتى ساعة متأخّرة من الليل، بحيث يعود بعد نيام الجميع، ظاناً أن المشكلة انتهت، والحقيقة أنها لم تنتهِ، وإنما هرب منها. ولعل المرأة تفعل مثل ذلك، تترك بيتها إذا عرضت مشكلة بينها وبين زوجها، وتمتنع عن التواصل معه، وتَدَع مقاليد الأمور لأمها وأبيها يحلّان المشكلة مع الزوج. ليحذر كل رجل وامرأة من أمثال هذه التصرفات؛ فالمشكلات لا تُحَل بمثل هذه الطرق، بل تزداد تعقيداً. فلا يصح ترك الزوجة بيتَها، بل المأمول منها امتصاص غضب الزوج، والإحسان إليه، إلى أن يهدأ فيتحاوران في المشكلة.

لا يستقيم ترك الزوج البيت، أو إخراج الزوجة منه، بل المرجو من الأزواج كلهم المحافظة على أسرار البيت داخله، وعدم إخراجها أو الخروج بها بعيداً عن بيت الزوجية.

ثم اعلم أن حل المشكلة الواقعة بين اثنين -زوج وزوجة- أسهل

(١) والحديث في الصحيحين: (إنَّ علياً خطب بنت أبي جهل، وعنده فاطمة...).

بكثير من حلها إذا انتشرت بين العائلتين، وشارك فيها أطراف أُخَر. وكم مرة تَخاصَم زوجان ثم أرادا الصلح؛ لكن طرفاً ثالثاً -كأمِّ الزوج أو أبيه، أو أمِّ الزوجة أو أبيها- منعه. والسبب أنهما أخرجا خلافهما أو خرجا به بعيداً عن بيتهما.

الأمر الثاني: إدخال الأبناء في الخلاف

كأن يقول الأب لأبنائه: أمُّكم فعلت كذا وكذا..، أو تحدِّث الأم أولادها بمشكلاتها مع أبيهم، أو يعلو صوتهما وشجارهما أمام الأبناء.

الأَوْلى حل المشكلات في الغرفة الخاصة، أو على انفراد، أو في وقتٍ يكون فيه الأولاد غائبين عن المنزل. أمّا إدخال الأبناء في الخلاف فيؤثر في نفسية الولد تأثيراً سلبياً، وربما حمله على ترك احترام الأبوين.

الأمر الثالث: السِّحر والشعوذة

تذهب بعض الزوجات عند حدوث مشكلة إلى عرَّافة لتكتب لها ورقة من أجل أن يحبّها زوجها، أو لتسقي زوجها شراباً وضعت فيه حجباً...، تظن بذلك أنها تنهي المشكلة، وربما فعل بعض الرجال ذلك. وكم وقع شرٌّ كبير من وراء هؤلاء السحرة؛ إذ السحر لا يقوم إلا على التعامل مع الجن الكفرة، والتقرب إليهم بأفعال كفر. فكلُّ مَن ذهب إلى ساحر فقد خالف سيدنا محمداً ﷺ في نص الحديث الصحيح: «**اجتنبوا السبعَ المُوبِقَات: الشركُ بالله، والسِّحْرُ، وقتلُ النفسِ التي حرم الله إلا بالحق، وأكلُ الربا،**

وأكلُ مالِ اليتيم، والتولِّي يومَ الزَّحْف، وقذفُ المحصنات الغافلات المؤمنات»(١).

فليحذَر الزوجان أن يُضحكَ عليهما، ويُستخَفَّ بعقليهما ودينهما بأوراق مكتوب فيها طلاسم. فالمشكلة في البيت ليس سببها الجن والعفاريت، بل سببها جهل الزوج أو الزوجة، أو سوء خلق أحدهما، أو إساءة تصرفهما.. وعلاج المرض يكون بعلاج السبب، لا بالذهاب نحو السحر والحُجُب. قال رسول الله ﷺ: **«من أتى عرّافاً أو كاهناً فصدّقه فيما يقول فقد كفر بما أنزل على محمد»**(٢). وفي رواية: **«مَن أتى عرَّافاً فسأله عن شيء فصدَّقهُ لم تُقبَل له صلاة أربعين يوماً»**(٣).

الأمر الرابع: طلَبُ الطلاق

الطلاق -غالباً- هروب من المشكلة، وليس حلاً لها، والرجل الذي يلجأ إلى الطلاق لحلِّ المشكلة -من دون ضرورة- رجل عاجز؛ لأنه لو لم يكن عاجزاً لاستطاع حلَّها من دون اللجوء إلى الطلاق.

تزوج رجل امرأة ثم طلقها، وتزوج ثانية ثم طلقها، وتزوج ثالثة ثم طلقها، وتزوج رابعة فعندما أراد أن يطلقها استشار رجلاً، فقال

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه الطبراني في: الكبير، والحاكم في: المستدرك، من حديث أبي هريرة رضي الله عنه، وصححه، ووافقه الذهبي.

(٣) أخرجه مسلم.

له: لماذا تريد أن تطلق زوجتك؟ فقال له: النساء كلهن سيئات!! الحق أن مشكلة هذا الرجل ليست في النساء، بل فيه، إذ لم يكن مؤهَّلاً عقلياً ولا نفسياً ولا دينياً ولا أخلاقياً للزواج.

رجولة الرجل في تمسكه بحياته الزوجية، ومحافظته عليها، مع تصحيح الأخطاء فيها، أما لفظ الطلاق فيتقنه الأطفال كما يتقنه الرجال.

وبطولة المرأة في لزومها زوجها وأولادها، ومحافظتها عليهم، مع تصحيح الأخطاء، أما طلب الطلاق فهو ديدن المتسرعات الطائشات.

الأمر الخامس: الدعاء بالهلاك

قد تدعو امرأة على نفسها بالموت، وقد تدعو على زوجها به، وربما فعل هذا الرجل، والدعاء بالسوء مَنهيٌّ عنه شرعاً، قال رسول الله ﷺ: «**لا يَتمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمُ الموتَ مِنْ ضُرٍّ أَصابَهُ، فَإِنْ كانَ لا بُدَّ فَاعِلاً فَلْيَقُلْ: اللَّهمَّ أحْيِني ما كانَتِ الحياةُ خَيْراً لي، وتَوَفَّني إذَا كانتِ الْوَفَاةُ خَيْراً لي**»[1].

والدعوة قد توافق ساعة إجابة، فيستجيب الله تعالى، ثم إذا دعت المرأة على زوجها بالهلاك -والعياذ بالله- أو دعا عليها بذلك، فهل تُحَلّ المشكلة؟! قال رسول الله ﷺ: «**لا تدعوا على أنفسكم، ولا تدعوا على أولادكم، ولا تدعوا على أموالكم، لا توافقوا من الله ساعة يسأل فيها عطاء فيستجيب لكم**»[2].

---

(١) متفق عليه.

(٢) أخرجه مسلم وأبو داوود.

الأمر السادس: التهديد بالزوجة الثانية

كأن يقول الرجل لزوجته إنه سيأتي بضرة لها إن استمرت على حالها. تتأزم المشكلات بهذه الطريقة ولا تُحَلّ.

الأمر السابع: الضرب والسَّبُّ واللَّعن

ما كان رسول الله ﷺ طعّاناً ولا لعّاناً[(١)]، ومحرَّمٌ في شرعنا لعنُ المعيَّن، نعم، يجوز أن تقول: لعنة الله على الكافرين، ويجوز أن تقول: لعنة الله على الظالمين، ولكن يحرمُ أن تقول: لعنة الله على فلان بن فلان، أو أن يقول الرجل لزوجته: لعنة الله عليك، والعياذ بالله؛ لأن اللَّعن: هو الطرد من الرحمة، وإذا طُرِدت زوجتُك من الرحمة فسوف تَقلِب حياتك رأساً على عقب. ولعل زوجة تقول لزوجها: لعنة الله عليك، أو: الله يلعنك، والعياذ بالله، ثمّ بعد ذلك تطلب حلّ المشكلات؟

أقول: كيف ستُحَل المشكلات والزوج يلعن زوجته وهي تلعنه!!؟

ولما كانت حرمة المسلمين عظيمة قال النبي ﷺ: «سُباب المسلم فُسوقٌ..»[(٢)]. ولا ريب أن حرمة الأقارب أعظم، فكيف

---

(١) حديث: (لم يكن النبي ﷺ سبَّاباً ولا فحَّاشاً ولا لعَّاناً..) أخرجه البخاري، وحديث: «**إن الله تعالى لم يبعثني طعَّاناً ولا لعَّاناً ولكن بعثني داعية ورحمة..**» أخرجه البيهقي في: الشعب.

(٢) متفق عليه.

برجل يسب والد زوجته، فتسب أمَّه، ويسبُّ أخاها، فتسبُّ أخته...

إن حال هذا البيت يشبِه حال ساحات المصارعة ومشاحَنات الشوارع.

أما الضرب: فإن النبي ﷺ ما ضرب بيده امرأةً قط، عن عائشة رضي الله عنها قالت: **(ما ضرب رسول الله ﷺ شيئاً قط بيده، ولا امرأة ولا خادماً، إلا أن يجاهد في سبيل الله..)**[١]، وقال: «**لا تَضْرِبوا إِماءَ الله**»، **فجاء عمرُ رضي الله عنه إلى رسولِ الله ﷺ، فقال: ذَئِرنَ النساءُ على أزواجهن**[٢]، **فرَخَّصَ ﷺ في ضربهنَّ، فأطاف بآلِ رسول الله ﷺ نساءٌ كثير يَشْكُون أَزواجهنَّ، فقال رسولُ الله ﷺ:** «**لقد طاف بآل محمَّد نساء كثير يشكون أزواجهن، ليس أولئك بخيارِكم**»[٣]، فإن كان هناك رجل يضرب زوجته فليعلم أنه ليس من خيار هذه الأمة بشهادة رسول الله ﷺ. وفي الحديث: «**ما أكرم النساء إلا كريم، وما أهانهن إلا لئيم**»[٤]، وهذه شهادة ثانية من رسول الله ﷺ. فإذا ضرب زوجٌ زوجته أو أهانها، فسكتت الزوجة وحزنت، فليعلم أنه أخذ شهادة من رسول الله ﷺ بأنه لئيم.

هذه الشهادة من النبي ﷺ للرجال، فما بالك إذا كانت المرأة

---

(١) أخرجه مسلم.

(٢) ذَئِرَت المرأة على زوجها: إذا نَشَزَت واجترأت عليه.

(٣) أخرجه أبو داوود والحاكم.

(٤) أخرجه ابن عساكر في: تاريخه.

هي من تهين زوجها، أو تضرب زوجها، عياذاً بالله، قال رسول الله ﷺ: «**لعن الله الرَّجلة**[١] **من النساء**»[٢]، لعنها سيدنا محمد ﷺ نقلاً عن الله تعالى.

إنَّ المشكلة لا تُحَل بهذه الطريقة، قال رسول الله ﷺ: «**يعْمِدُ أحدُكم فَيَجْلِدُ امرأتَهُ جَلدَ العبدِ، فلعلَّهُ يُضَاجِعُها من آخر يومه**»[٣].

لذلك لا يُلجَأ إلى الضرب والشتم والإهانة في حلِّ المشكلة.

القاعدة الرابعة:

(واجه المشكلة بجلسة نقاش)

إذا كان هناك مشكلة بين الزوجين فلا بد أن تواجَه بجلسة نقاش بينهما، ولكن بشروط:

١- **أن يكون هذا النقاش على انفراد:** دون تدخل الأولاد والجوار والأهل...

٢- **بعيداً عن الغضب:** لأن الغضب يفسد الأمور، ويُسقِط الرجال، وهو عاطفة جيَّاشة تغطي العقل، فتمنع التفاهم والتخاطب. جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: يا رسول الله، أوصني. قال له رسول الله ﷺ: «**لا تغضب**» فاستَقَالَّها الرجل، ثم قال: يا رسول الله، أوصني. فقال رسول الله ﷺ: «**لا تغضب**» وفي المرة الثالثة قال

---

(١) أي: المترجِّلة التي تَتَشَبَّه بالرجال، في زيِّهم، أو مشيهم، أو رفع صوتهم...

(٢) أخرجه أبو داوود.

(٣) متفق عليه.

الرجل: يا رسول الله، أوصني. فقال رسول الله ﷺ: «ألا تفقه؟! لا تغضب»[١].

ولعل الغاضب يتكلم بكلام يندم عليه لاحقاً، وكثيراً ما يأتي العلماءَ والفقهاءَ أزواجٌ طلَّقوا زوجاتهم في حالة غضب، ثم ندموا أشدَّ الندم، وكثيرات هنَّ النساء اللواتي يصرخنَ في وجوه أزواجهنَّ في لحظة غضب، وبعد أن يهدأنَ يندَمنَ أشدَّ النَّدم.

حُدِّثتُ عن رجل ذي مكانة اجتماعية عالية، ضرب ولده على يديه في حالة غضب، لذنب قام به الولد، ومن شدة غضبه لم يضبط عدد الضربات، ولا قوتها، إلى أن استطاعت الأم سحب ولدها من بين ضربات أبيه. وفي صباح اليوم التالي لاحَظ الأبوان انتفاخَ كفي الغلام، مع ازرقاق واحمرار وألم شديد، فأخذاه إلى الطبيب الذي فاجأهما بقوله: إن الكفين بحاجة إلى قطع، وإلا انتشر التموُّت (الغرغرينا) في كامل العضو!! وبعد أن قُطعَت الكفَّان وانتهت العملية وصحا الغلام من التخدير قال لوالده: يا أبي، كيف سأكتب الآن وظائفي، كيف سأستخدم قلم الرصاص؟!

سؤال: كيف تستطيع أن تسيطر على الغضب؟

جواب: خمسة أمور تساعدك على السيطرة عليه:

أولاً- الاستعاذة بالله من الشيطان الرجيم؛ قال تعالى: ﴿وَإِمَّا

(١) أخرجه بنحوه البخاري والترمذي.

يَنزَغَنَّكَ مِنَ ٱلشَّيۡطَٰنِ نَزۡغٌ فَٱسۡتَعِذۡ بِٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ سَمِيعٌ عَلِيمٌ ﴿٢٠٠﴾
[الأعراف: ٧/ ٢٠٠].

وجاء في الأثر: (يقول الله تعالى: «**يا بن آدم، اذكرني حين تغضب، أذكرك حين أغضب، ولا أمحقُكَ فيمَن أَمْحَق**»)[١]. استعِذ بالله في لحظة الغضب، وبشكل دائم.

ثانياً- تغيير الحال؛ إذا كنتَ متحرِّكاً فقف، وإذا كنت واقفاً فاجلس -ولهذا لا تصح جلسة النقاش إذا كان الزوجان واقفين، بل لا بد من الجلوس والاطمئنان- وإذا كنت جالساً فاستلقِ. عن أبي ذر الغفاري ﵁ قال: قال لنا رسولُ الله ﷺ: «**إِذا غضب أحدُكم وهو قائم فلْيجلسْ، فإن ذهب عنه الغضب وإِلا فليضطجع**»[٢].

ثالثاً- الوضوء؛ قال رسول الله ﷺ: «**إنَّ الغضبَ من الشيطان، وإنَّ الشيطان خُلِق من النار، وإنما تُطْفَأ النار بالماء، فإذا غضبَ أحدُكم فليتوضأ**»[٣].

رابعاً- السكوت؛ لا تتكلَّمْ وأنت غضبان، حتى لا تندم إذا ذهب غضبك، ودرِّب نفسك على الصمت كما تتمرن على الكلام.

خامساً- قال رسول الله ﷺ: «**من كظم غيظاً وهو قادرٌ على أن**

---

(١) عزاه في: (كنز العمال) لابن شاهين عن ابن عباس ﵄، وبنحوه عند الديلمي عن أنس بن مالك ﵁.

(٢) أخرجه أبو داوود.

(٣) أخرجه أحمد وأبو داوود.

يُنْفِذَه دعاه الله على رؤوس الخلائق يوم القيامة حتى يخيِّره من الحور العين يزوجه منها ما شاء»[(١)].

- **سؤال**: ما حكم طلاق الغضبان؟

- جواب: طلاق الغضبان يَقَع باتِّفاق الفقهاء؛ جاء في (الفقه الإسلامي وأدلته) للدكتور وهبة الزحيلي[(٢)]: (ولا يصح طلاق المجنون، ومثله المغمى عليه، والمدهوش: وهو الذي اعترته حال انفعال لا يدري فيها ما يقول أو يفعل، أو يصل به الانفعال إلى درجة يغلب معها الخلل في أقواله وأفعاله، بسبب فرط الخوف أو الحزن أو الغضب، لقوله ﷺ: «**لا طلاق في إغلاق**»[(٣)]، والإغلاق: كل ما يسد باب الإدراك والقصد والوعي، لجنون أو شدة غضب أو شدة حزن ونحوها...). يفهم مما ذكر أن طلاق الغضبان لا يقع إذا اشتد الغضب، بأن وصل إلى درجة لا يدري فيها ما يقول ويفعل ولا يقصده. أو وصل به الغضب إلى درجة يغلب عليه فيها الخلل والاضطراب في أقواله وأفعاله، وهذه حالة نادرة. فإن ظل الشخص في حالة وعي وإدراك لما يقول فيقع طلاقه، وهذا هو الغالب في كل طلاق يصدر عن الرجل؛ لأن الغضبان مكلف في حال غضبه بما يصدر منه من كفر وقتل نفس وأخذ مال بغير حق وطلاق وغيرها).

---

(١) أخرجه الترمذي وأبو داوود وابن ماجه.

(٢) ٧/ ٣٦٤.

(٣) أخرجه أبو داوود، والحاكم.

٣- لا تذكر الخلافات الماضية

ثالث شروط جلسة النقاش ألّا تُذكر الخلافات القديمة، وألا تحصى، قال رسول الله ﷺ: «**يا عائشة، لا تحصي فيحصي الله عليك**»(١).

أَسَرَّ النبي ﷺ إلى بعض زوجاته حديثاً، وأمرها ألّا تخبر أحداً بحديثه، فأخبرت به(٢)، وقد قال الله تعالى: ﴿وَإِذْ أَسَرَّ ٱلنَّبِيُّ إِلَىٰ بَعْضِ أَزْوَٰجِهِۦ حَدِيثًا فَلَمَّا نَبَّأَتْ بِهِۦ وَأَظْهَرَهُ ٱللَّهُ عَلَيْهِ عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ فَلَمَّا نَبَّأَهَا بِهِۦ قَالَتْ مَنْ أَنۢبَأَكَ هَٰذَا قَالَ نَبَّأَنِىَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْخَبِيرُ ۝٣﴾ [التحريم: ٦٦/٣]. يعني أن النبي ﷺ لَمَّح ببعض الحديث لزوجته ولم يذكره كله: ﴿عَرَّفَ بَعْضَهُۥ وَأَعْرَضَ عَنۢ بَعْضٍ﴾، ومن ذلك ورد في الأثر: «ما استقصى كريمٌ قط»(٣)، أي إن الكريم لا يسجِّل العيوب كلها، ليأتي عند المشكلة بذكرها كاملة.

أخبرني رجل فاضل، قال: (في صباح عرسي جاء والدي إلى البيت، وقال لي: يا بني، اجلب لي ورقة وقلم رصاص وممحاة، قال: فنظرتُ إليه، وقلت له: من أين سأجلب الآن وفي هذا الوقت قلم رصاص وورقة وممحاة؟! فقال الأب: يجب أن تأتيني

---

(١) أخرجه أبو داوود والنسائي.

(٢) والحديث عند البخاري برقم (٦٣١٣)، ومسلم برقم (١٤٧٤).

(٣) أخرجه الدينوري في: المجالسة وجواهر العلم، ١/ ٢٨٧ من حديث سفيان بن عيينة، وعزاه السيوطي في: جامع الأحاديث، والمتقي الهندي في: كنز العمال لابن مردويه من حديث علي رضي الله عنه.

بها، قال: فلم أجد في البيت قلم رصاص أو ممحاة، ومن يخطر بباله أن يُخرِج مع جهاز عرسه قلم رصاص، فنزلتُ إلى البَقالَة وأحضرت قلم رصاص وممحاة، قال والدي: اكتب على الورقة أيَّ شيء تريده، فكتبت جملةً، فقال لي: امحُ ما كتبتَ، فمحوتها، ثم قال لي: اكتب جملة أخرى، فكتبت وقلت: يا أبي، أخبرني ماذا تريد؟!! فقال الأب: امحُ ما كتبتَ، قال: فمحوتُ، وأعاد أبي الكرَّة، فقلتُ له: أخبرني ما الذي تريد أن تقول يا أبتِ؟!! فقال الوالد: يا بني، الزواج يحتاج إلى ممحاة تمحو بها أخطاء زوجتك، فإذا محوتَ دام الودُّ والحب بينكما، أما إذا سجَّلْتَ كلَّ شيء على زوجتك وحفظته، فسيمتلئ دفتر الحياة بالسواد سريعاً).

نعم، في جلسة النقاش لا تذكر القصص والأخطاء القديمة.

ثم اعلم أن الصفة التي تعامل بها الخَلْق يعاملُك بها الحقّ، إذا عفوتَ عن العباد عفا الله عنك، وإذا تتبَّعت عثرات العباد تتبَّع الله عثراتك. قال رسول الله ﷺ: «**اللهم مَن ولي مِن أمرِ أمتي شيئاً فشقَّ عليهم فاشقُقْ عليه..**»[1].

٤- تكلَّم ودَعِ الآخرين يتكلمون

دَع زوجتك تتكلم، ودعي زوجك يتكلم، فالكثير من الناس يريد عند النقاش أن يتكلم وحده، ويريد من الآخرين أن يسمعوا ولا يتكلَّموا. قال بعض العرب: (لا تنكحوا من النساء ستة:

---

(١) أخرجه مسلم وأحمد.

لا أنَّانة، ولا منَّانة، ولا حنَّانة، ولا تنكحوا حدَّاقة، ولا برَّاقة، ولا شدَّاقة)، والشدَّاقة هي كثيرة الكلام[١]. فلا بد من أن يتكلم الزوجان ويستمع أحدهما للآخر.

القاعدة الخامسة:

(الوقت كفيل بحلّ عددٍ من المشكلات)

فليس من الضروري أن تُحَلَّ المشكلةُ الآن، بل نضع حلولاً مقترحة عاجلة أو آجلة، إذ غالباً ما يتغيَّر رأي أحد الزوجين، أو تتغير فِكرتهما عن المشكلة. لنَدَع الوقت يأخذ دوره، ونبين وجهة نظرنا، ونسمع وجهة نظر الآخر، ولنذكر أن الله تعالى خلق السماوات والأرض في ستة أيام، مع أنه -جل جلاله- قادر على خلقهن بكلمة: (كن)، ونصر الله تعالى نبيَّه محمَّداً ﷺ بعد ثلاث وعشرين سنة من البعثة، مع أنه -جل جلاله- قادر على أن ينصره من أول دقيقة، لكن علَّمنا -جلّ وعلا- بذلك أن الأمور تجري بمقادير.

إذن، فالوقت مهمٌّ لحلِّ عدد من المشكلات. فلا يصح أن نقول: إنه يجب أن تُحَلَّ المشكلات كلُّها في هذه الجلسة، أو أن نفترق، بل إذا حُلَّ نصف المشكلة أو ربعها قبِلنا، وتركنا الوقت يأخذ دوره لحلِّ الباقي. يقول الله تعالى في القرآن الكريم: ﴿فَإِن لَّمْ يُصِبْهَا وَابِلٌ فَطَلٌّ﴾ [البقرة: ٢/ ٢٦٥]، أي إذا لم يأتِ الأرضَ وابلٌ

(١) إحياء علوم الدين للغزالي: ٢/ ٣٨.

وهو المطر الشديد، فَطَلٌّ وهو المطر القليل. فلا يصح أن نقول: إما أن تمطر المطر الكثير أو لا تمطر أبداً!!

أيها الزوجان: لا تضعا الخيارات الصعبة الفاصلة، ويُلزِم أحدُكما بها الآخر، بل ابحثا عن خيارات وحلول وسطيّة.

القاعدة السادسة:

(التعايش مع المشكلة أحد أنواع الحل)

فأحياناً تجد الأمر مغلَقاً، والحلَّ مستحيلاً، فعليك أن توطِّن نفسك للتعايش مع المشكلة، وأنتَ مأجورٌ على صبرك.

هناك أمراضٌ لا دواء لها، كمرض السكري مثلاً، تجد المريض يتعايش مع هذا المرض، ويتقبل الحياة كما هي، وكذلك إذا رأى أحد الزوجين من الآخر أمراً لا يحبه، ولا يتقبَّله، ولم يستطع تغييره فليدرِّب نفسه على التعايش والتأقلم معه - مادام الأمر ليس حراماً ولا كفراً بواحاً، ولا هو من أسس الحياة الزوجية- وينال بذلك أجرَ الصَّبرِ.

على ألّا تنسى أن باباً لا يغلق دونك في ليل ولا في نهار، يأتيك منه الفرج من حيث تدري أو لا تدري، إنه باب الدعاء والالتجاء إلى الله.

القاعدة السابعة:

(استشر ثقة بعيداً)

استشر مَن تثق بدينه وعلمه وأخلاقه، تثق بخوفه من الله، وبخبرته الحياتية.

ومن المهم أن يكون بعيداً عن أسرتك، فلا أنصح زوجاً أن يستشير والده أو والدته في حلٍّ مشكلة بينه وبين زوجته؛ لأن العاطفة ستتدخل، وكذلك الفتاة، لا يُنصَح أن تستشير أمها بمشكلة بينها وبين زوجها، بل لتستشر امرأة بعيدةً، موثوقةً، عالمة عابدة ولها خبرة في الحياة.

فإن كان في العائلة كبير -كجدٍّ أو عمٍّ- يوثَق بعقله وخبرته فيُستَشار.

ومن المتفق عليه ألّا يُستَشار الرجل الفاسق غير الثقة الذي لا يخاف الله ولا يرعى حرماته.

هذه سبع قواعد مهمّة في احتواء المشكلات الزوجية:

١- أصلح ما بينك وبين الله يصلح الله ما بينك وبين زوجك.

٢- ليست المشكلات الزوجية شراً كلُّها، بل ربما كان فيها خير.

٣- في حال حدوث مشكلة لا تلجأ إلى سبعة أمور.

٤- واجه المشكلة بجلسة نقاش.

٥- الوقت كفيل بحلٍّ عددٍ من المشكلات.

٦- التعايش مع المشكلة أحد أنواع الحل.

٧- استشر ثقةً بعيداً.

والله أعلم.

نسأل الله تعالى أن يحفظنا ويحفظ أزواجنا ويحفظ أهلينا ويسلِّمنا.

﴿رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَٰجِنَا وَذُرِّيَّٰتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَٱجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾ [الفرقان: ٢٥/ ٧٤].

آمين.